سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

القطن في دير الزور، زراعة مكلفة وتجارة مربحة

سيدات سوريات
يعشن غياب الزوج أو رحيله

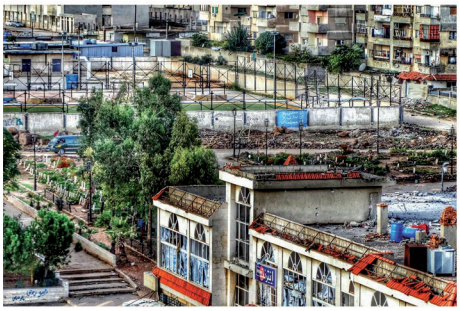

شباب حمص:
القهر بعد المعركة

من قلب حصاره،
صاحب الملوك الثلاثة:
البنادق حولنا بلا فكر

"أمهات الشهداء"
مخيم خاص للنازحات

الشرطة الحرة ترفض
الاعتراف بالحكومة
المؤقتة ووزير داخليتها

السنة الرابعة | العدد (167) | 30 تشرين الثاني 2014

تجمع "الكومينات" في الحسكة
خدمة للمجتمع أم استغلال لحاجات الناس؟

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

انتشرت في بعض مناطق محافظة الحسكة مؤخراً ظاهرة جديدة، أطلقتها منظومة تعرف بـ "حركة المجتمع المدني" والتي يعتبر حزب الاتحاد الديمقراطي "PYD" من أهم تشكيلاتها، وهذه الظاهرة عبارة عن تجميع الأهالي في تشكيلات مدنية وخدمية تسمى "كومينات".

دعوة تشكيل الكومينات (وهي مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي فعلياً لم تعرفها) المحافظة من قبل إلا بتشكيليات حزب البعث بحسب ما يذهب إليه بعض المراقبين.

والكومينات بحسب تعريف حزب الاتحاد الديمقراطي هي عبارة عن "وحدة اجتماعية سياسية اقتصادية لتنظيم المجتمع، وتعتبر أصغر وحدة للمجتمع وأكثر فعالية وتؤسس على مبدأ المشاركة العامة وعلى أساس الديمقراطية المباشرة".

ويتم تشكيل كل كومين من عدد من الأشخاص تكون مهمته إحصاء وتسجيل المنازل لتقديم بعض الخدمات لهم، ولعل أبرز هذه الخدمات هي تأمين الغاز والمحروقات.

وتباينت الآراء إزاء هذه الظاهرة في عموم المحافظة بين معارض ومشكك وبين من يقول بأنها أوجدت بعض الحلول الجزئية لما تعانيه المحافظة.

حيث يرى هيثم 24 سنة من أهالي مدينة الحسكة في تجربة الكومينات حل ضروري للأزمات الكثيرة في الحسكة.

ويضيف هيثم " لقد دعيت لهذه الاجتماعات أكثر من مرة، وأنا شاب عربي، وعلى الرغم من معارضتي للسياسة التي ينتهجها "PYD" لكن لا سبيل أخر لمواجهة أزماتنا المعيشية الكثيرة إلا عبر هذه الطريقة".

بينما تقول فاطمة ربة أسرة من حي العزيزية في الحسكة "حضرت الاجتماع الذي دعا إليه حزب الاتحاد الديمقراطي، وتحدث إلينا أحد المسؤولين في الحزب، عن ضرورة التعاون لحل المشكلات الخدمية".

وتشير فاطمة أن هدفها من الحضور هو فقط " لتامين جرة غاز أو بضعة لترات من المازوت".

وتطوف لجان تابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي في أرياف وبلدات محافظة الحسكة للترويج لفكرة الكومينات حيث يتم تجميع الأهالي في الساحات أو المدارس، ويشترط لإتمام الاجتماع بالأهالي حضور أكثر من 40 شخص، خاصة في المناطق المكتظة بالسكان، لتشكيل لجان تتولى الإشراف على المنطقة.

ويرى الناشط محمد الحسن أن حزب الاتحاد الديمقراطي يسعى من خلال فكرة الكومينات، إلى التغلغل في تفاصيل الحياة، وملامسة أوجاع وهموم البسطاء، في محاولة لتمكين الحزب من بسط سيطرته على المجتمع".

فيما يؤكد عمار 30 سنة من راس العين، "أن هذه اللجان لا تختلف عن اجتماعات حزب البعث سابقا، حيث يتم تشكيل حلقات تدير الحياة الاجتماعية وفق رؤية الحزب، واستبعاد المعارضين وحرمانهم من حقوقهم".

أوساط سياسية واجتماعية كثيرة في الحسكة، لم تبدي ارتياحها لسياسة الحزب عموماً، وخطوته الأخيرة بتشكيل الكومينات خصوصاً، وترى فيها محاولة حزب "PYD" للهيمنة على المجتمع وأخذه كرهينة للحاجة ولقمة العيش من خلال طرح الحزب نفسه كبديل وحيد يكرس الاستبداد.

يوم غضب من أجل الرقة

أطلق نشطاء سوريون دعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعية، إلى التظاهر في كل انحاء العالم يوم الأحد الموافق 30 كانون الأول من العام الجاي تعبيراً عن الغضب إزاء مجزرة ارتكبتها طائرات النظام بحق المدنيين في مدينة الرقة الأسبوع الفائت خلفت عشرات الشهداء والجرحى من المدنيين.

وقال مطلقو الدعوة أنهم يدعون أصحاب الضمائر الإنسانية وأحرار العالم في كل مكان لوقفة احتجاجية في مدن العالم وساحاتها، تنديداً بهذه المجزرة المرّوعة واستنكاراً للأفعال البربرية الأسدية بحق المدنيين السوريين وبحق الإنسانيّة جمعاء.

وقد لبى ناشطون سوريون حول العالم دعوة رفاقهم مبكراً، حيث نظمت تظاهرات صامتة في كل من اسطنبول، وباريس احتجاجاً على المجزرة التي أودت بحياة أكثر من مئتي مدني.

المخيم يفقد غيفارا، علي الحجة اغتيل في اليرموك على يد مجهولين

نعى ناشطون في مخيم اليرموك المحاصر بدمشق يوم أمس السبت 29 تشرين الثاني علي الحجة أبو حمزة "غيفارا المخيم"، أحد الشخصيات التي يعرف عنها بأنها من أكثر الوجوه وطنية في المخيم، وبحسب معلومات سوريتنا فإن مجهولين اثنين على دراجة نارية أطلقوا الرصاص على الحجة في شارع العروبة المكتظ حين كان يغادر صالون الحلاقة، فسقط شهيداً على الفور.

الحجة الذي كان بعيدا عن الاعلام، كان قد أطلق مبادرة خاصة لإدخال الطعام إلى اليرموك حين كان الجوع يقتك بأطفاله نسائه، إذ عرض الحجة حياته مع عشرة آخرين كي يعدموا رمياً بالرصاص من قبل عناصر النظام والميليشيات التي توالية على مدخل المخيم مقابل فك الحصار، فيما اجمع ناشطون وسكان على أن اليرموك خسر غيفارا برحيل الحجة.

كان الحجة في أيامه الأخيرة وجه يعاديه الجميع، فمن النظام إلى جبة النصرة مروراً بداعش وحتى أكناف بيت المقدس، جميها كانت تكن العداء للحجة، الذي كان بدوره لا يرى حلاً قريباً للمخيم، حتى لو انسحبت جميع الكتائب المسلحة منه، إذ كان يخشى كذلك من صراع عسكري قد تعيشه الفصائل الفلسطينية فيما بينها في مستقبلاً ليكون صراعاً "فلسطينياً فلسطينياً" بعد أن تنهي حصارها لليرموك، فيما كانت مخاوفه الكبيرة تأتي من جبهة النصرة في الأسابيع الأخيرة.

ألمانيا تسرّع إجراءات طلبات لجوء السوريين على أراضيها

بدأت الدائرة الاتحادية للهجرة واللاجئين في ألمانيا بتطبيق قرار التسريع في إجراءات طالبي اللجوء من السوريين والعراقيين بناءً على قرار صدر منتصف شهر تشرين الأول الماضي.

وينص القرار وفق ما نقلته وسائل إعلام ألمانيّة عن وزير الداخليّة الألماني "توماس دي مايتسيري" على البت بطلبات لجوء المواطنين من دول الحروب الأهلية بأسرع وقت ممكن، ومنح الحاصلين على صفة اللجوء حريّة التنقل والحركة.

وأوضح "دي مايتسيري" أن تلك الإجراءات السريعة لا تنطبق على اللاجئين الذي لديهم بصمات في دول أوروبية أخرى، أو قدموا لجوء في بلدان أخرى تطبيقاً لاتفاقية دبلن.

ووفقا لبيانات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فقد قدم 19 ألفاً و205 سوريين خلال الفترة الممتدة بين نيسان 2011 وكانون الأول 2013 طلبات أولية للحصول على اللجوء في ألمانيا.

أهالي مصياف ينتفضون في وجه شبيحة المدينة

نشبت مواجهات خلال الاسبوع الفائت بين أهالي مدينة مصياف بريف حماة، وعناصر مما يسمى «جيش الدفاع الوطني» على خلفية مصادرة العناصر سيارات للمدنيين في سوق الهال متذرعين بحاجة الجيش اليها.

وقال شهود عيان لـ «سوريتنا» إن بعض الأهالي في قرية «البيضا» التابعة لمدينة مصياف دعوا إلى التجمع والتظاهر ضد تردّي الأوضاع الأمنية وانتشار الخطف الذي طال خمسة أشخاص بينهم فتاتان خلال الأسبوع الفائت وحده، إضافة إلى اعتراض السكان على المعاملة السيئة من قبل اللجان الشعبية، واجبار الشبان على الالتحاق بالخدمتين الإلزامية والاحتياطية، الأمر الذي دفع بالكثيرين إلى الهروب من البلاد خشية زجهم على جبهات القتال.

وشهدت مدينة مصياف مظاهرات مناهضة للنظام منذ بداية الثورة السورية عام 2011، إلا أن قوات النظام والشبيحة من أهالي المنطقة قمعوا كل حراك مناهض للنظام في مصياف.

"أمهات المؤمنين" مخيم خاص للنازحات

■ اللاذقية - ميس الحاج

بدء العمل على بناء مخيم "أمهات المؤمنين" منذ أكثر من عام في الريف الشرقي لمحافظة اللاذقية على الحدود مع تركيا، ويختص المخيم بإيواء أسر الشهداء والأرامل بإشراف كل من منظمة سلام الإنسانية وحملة الجسد الواحد.

يقيم في المخيم حالياً أكثر من ثلاثين عائلة أغلبهم من جبل الأكراد بالإضافة إلى بعض العائلات من إدلب وريف دمشق حيث يوجد حوالي 25 امرأة و50 طفل تتألف منها العائلات المقيمة بالمخيم.

تعمل إدارة المخيم وهي عبارة عن مجموعة من المتطوعين على توفير احتياجات ومستلزمات العائلات داخل المخيم من الخبز والأغذية والألبسة ومياه الشرب وحطب التدفئة.

يقول مراد وهو أحد أعضاء إدارة المخيم "إن خطة بناء المخيم تقوم على ثلاثة مراحل الأولى هي بناء 20 وحدة سكنية وتم الانتهاء منها، أما المرحلة الثانية فهي بناء مسجد داخل المخيم وهذه المرحلة قيد التنفيذ، أما المرحلة الأخيرة فهي تهدف إلى بناء ثلاثين وحدة سكنية وسيبدأ العمل على تنفيذها بعد الانتهاء من بناء المسجد".

وأوضح مراد "أن المنظمات الداعمة في بناء الوحدات السكنية في المخيم هي منظمة سلام الإنسانية وحملة الجسد الواحد أما تأمين مستلزمات المقيمين فيتم عن طريق منظمات وجمعيات أخرى مثل جمعية التنمية والبناء السورية ومنظمة (ihh)".

أم بشير نازحة من ريف حماة وتنقلت خلال العامين الماضيين مع أولادها السبعة بعد استشهاد زوجها، في أكثر من منطقة في الشمال السوري لتقيم مؤخراً في مخيم أمهات الشهداء.

تقول أم بشير لسوريتنا: "بعد معاناة أكثر من عامين ونزوح خمس مرات بسبب القصف والعمليات العسكرية لجأت إلى مخيم أمهات الشهداء ووضعه جيد مقارنة بالمناطق التي لجأت إليها في وقت سابق، خاصة من ناحية الخدمات ومن ناحية قربه من مدرسة لتعليم أطفالي".

القطن في دير الزور، زراعة مكلفة وتجارة مربحة

■ دير الزور - عادل العايد

رغم أنها تحتل المركز الثالث في إنتاجيته في سورية، إلا أن زراعة القطن في دير الزور باتت تشهد تراجعاً ملحوظاً بسبب عدة عوامل عزاها مختصون إلى ازدياد تكاليف زراعته، وغلاء أسعار الأدوية لمكافحة الآفات، فضلاً عن استغلال التجار لحالة انعدام الأمن، فيشترونه بأسعار لا تكاد تغطي تكاليف زراعته، ويبيعونه فيما بعد لتجار المحافظات الأخرى بأسعار أعلى.

التكلفة تساوي المردود

يقول عامر محمد مزارع من ريف دير الزور "محصول القطن من أهم المحاصيل التي تزرع في ريف دير الزور، كان فيما مضى يشكل دخلاً جيداً للفلاح، ولكن خلال السنوات السبع الأخيرة تناقص مردود زراعته بحيث لم يعد يغطي التكاليف".

وعن أبرز الأسباب التي أدت لتراجع زراعة القطن يقول المهندس الزراعي علي "الغلاء المتزايد في أسعار الأسمدة والوقود واليد العاملة، أدى إلى تناقص أرباح المزارعين عاماً بعد عام، وبدأت الصعوبات تواجه هذه الزراعة منذ عام 2008، وعندما رفع النظام أسعار الوقود أكثر من ثلاثة أضعاف، وازدادت الأمور سوءاً، إذ ارتفعت أسعار مستلزمات الإنتاج، حتى باتت تكلفة الدونم الواحد، في السنتين الأخيرتين تتراوح بين 30 إلى 40 ألف ليرة سورية، بينما لا ينتج أكثر من 400 كغ في أقصى حد، وهذا لا يباع بأكثر من 50 ألف ليرة في أفضل الحالات".

نقص الري

ويعتبر نظام الري من أهم العوامل المؤثرة على إنتاجية القطن، وبقيام الثورة خرجت العديد من الجمعيات الفلاحية عن العمل بتأدية دورها المتمثل بتأمين الري للمزارعين، وعن ذلك يقول حمادي الخلف، رئيس جمعية فلاحية بريف دير الزور الغربي، وكانت تلك الجمعية تؤمن قبل الثورة الري للمزارعين، حيث تروي مساحة تربو على 7000 دونم، وتوقفت عن العمل فخرجت العديد من الأراضي من الاستثمار: "زراعة القطن تحتاج إلى ري أكبر من المحاصيل الأخرى، حيث يؤدي التأخر في موعد الري لمرة واحدة مثلاً إلى تضرر المحصول بأكمله، وكان نظام الري في المنطقة الزراعية الممتدة على جانبي نهر الفرات يعتمد على الجمعيات الفلاحية، التي تعمل على إيصال مياه الري للمزارعين بأقل كلفة، أما بعد الثورة فقد تضررت الجمعيات الفلاحية بشكل كبير، جراء انقطاع القروض، وتوقف دعم الوقود من النظام، وبسقوط ريف دير الزور بيد الجيش الحر، وعدم تقديم دعم فعال لها من قبل جهات المعارضة، اقتصرت محاولات إنعاش عملها على الجهود الأهلية، التي نجح بعضها فيما فشلت أخرى".

وفي ظل توقف دور هذه الجمعيات، سعى الفلاحون إلى حفر آبار في أراضيهم، لري محاصيلهم، في حين لا يبعد نهر الفرات عن أراضي بعضهم أكثر كيلومترين، فيقول الفلاح جاسم. د "كلفني البئر الذي حفرته أكثر من 200 ألف ليرة سورية، وقد أحتاج موسمين قادمين حتى أستطيع تسديد تكاليفه، لكن لا خيار لدي في ظل عجز الجمعيات عن تأمين مياه الري".

غلاء أسعار الأدوية

ويضاف إلى نقص الري عوامل عدة ساهمت بانخفاض إنتاجية القطن، وعنها يقول المهندس الزراعي ثائر: "تلوث الجو بدخان مصافي النفط (الحراقات)، وتدني جودة الأدوية في السنوات الأخيرة فضلاً عن انعدام وجود الأدوية ذات الفعالية في السوق، ضاعف من الضرر الذي تسببه الآفات ومنها آفة الدودة البيضاء، التي تؤدي إلى إعاقة عملية التمثيل الضوئي للنبات، وخفض قيمة الإنتاج".

بينما يشير الصيدلي حسن. ح صاحب إحدى الصيدليات الزراعية في ريف دير الزور الغربي، إلى "أن الأدوية الزراعية غالية قبل الثورة، أما بعد الثورة فقد أصبحت غالية جداً، بسبب اعتماد الصيدليات الزراعية على المستورد منها فقط، وغالباً ما تكون تركية أو أردنية، وتقيم بالدولار الأمريكي دائماً، وهو يرتفع باستمرار أمام الليرة السورية".

مردود من حطب القطن

ويحاول بعض الفلاحين الاستفادة من الحطب بعد جني محصول القطن بقطع الشجيرات لتعويض ما خسروه.

يقول محمد "ازداد الطلب في السنوات الثلاث الماضية على الحطب في ريف دير الزور، خصوصاً مع توقف معظم أفران الخبز عن العمل، واعتماد الناس في المنطقة على المخابز المنزلية (التنور) والتي تعمل بالحطب".

وبسبب الطلب المتزايد عليه ارتفعت أسعاره، بعد الثورة بحدود العشرة أضعاف، ويقول حساوي من ريف دير الزور: "اشتريت حطب من أجل الخبز لعائلتي حيث يباع بالدونم، وقمت بتقطيعه وجمعه، وذلك مقابل 7000 ليرة والبعض اشتروه بـ 10000 ليرة، في حين كان يباع قبل الثورة بـ 1500 ليرة".

استغلال التجار

لم يستلم النظام القطن في دير الزور من الفلاحين في العام الفائت، بسبب خروج محالج دير الزور عن الخدمة، واستيلاء فصائل معارضة على بعضها، والنهب الذي طالها، لذلك بات المزارعون يبيعون محصولهم في السوق السوداء، بعد أن كان ذلك ممنوعاً في عهد النظام، فانتشرت الآن أسواق محلية خاصة بمادة القطن في ريف دير الزور.

محمد الابراهيم من ريف دير الزور الغربي، يعمل في تجارة القطن من ثلاث سنوات، يقول: "أقوم بشراء القطن من المزارعين في ريف دير الزور، بأسعار تتراوح بين 89 إلى 95 ألف ليرة سورية للطن الواحد، وأبيعه في مدينة الرقة التي تعد مركزا لتجارته، بأكثر من 100 ألف للطن، ليذهب فيما بعد عبر التجار والسماسرة إلى تركيا أو إلى النظام فيتم تسليم شحنات منه من قبل التجار عن طريق مدينة حماه".

ولا يخلو الأمر من قيام التجار باستغلال وضع الفلاحين وازدياد العرض من مادة القطن فيتحكمون بالأسعار، حيث يخزنون القطن ومن ثم يبيعونه بأسعار مرتفعة لتجار باقي المحافظات أو لتجار أتراك، وعن ذلك يقول الفلاح عباس "اشترى أحد التجار من أبناء المنطقة، من المزارعين في الموسم الماضي كمية تفوق 50 طن من القطن، بسعر بخس لا يتجاوز السبعين ليرة للكيلو، مستغلاً حالة الركود في تجارته نتيجة انعدام الأمن على الطرق، وقد باع هذه الكمية بعد فترة وجيزة، بأسعار وصلت إلى 105 ليرات للكيلو لأحد التجار في حلب، وبذلك يجني التجار الملايين في حين يكاد الفلاح يعجز عن تغطية تكاليف عملية الزراعة".

الشرطة الحرة ترفض الاعتراف بالحكومة المؤقتة ووزير داخليتها

أصدرت "الشّرطة السّورية الحرّة " بياناً رفضت فيه الاعتراف بالحكومة السوريّة المؤقتة التي شُكلت مؤخّرا، والتّعاون مع أيّ وزارة داخليّة تفرضها قوى سياسيّة بدون استشارة وموافقة قوى "الشّرطة الحرّة" العاملة على الأرض السّوريّة في المناطق المحرّرة".

وجاء هذا البيان، بُعيد اجتماعات الهيئة العامة للائتلاف التي استمرت عدة ايام حتى تمخض عنها ترشيح وزير للداخلية في الحكومة المؤقتة، وهو ما رفضته الشرطة الحرة في بيانها الذي ورد فيه "نرفض ترشيح عوض العلي وزيرا للدّاخليّة"، معتبرةً أن هذا الترشيح "جاء بناءً على مصالح حزبيّة وسياسيّة، تجاهلت تضحيات الشّعب السّوري الذي ثار ضدّ الظلم والطّغيان" على حد وصف البيان.

وأكّد البيان الموقع من قيادات الشّرطة الحرّة في حلب وإدلب واللاذقية أنّ " الشّرطة السورية الحرّة، تعمل على الأرض، ومهمّتها خدمة الوطن المواطن وجميع السّوريين، ولا تتبع لأيّ قوى سياسية، إلا إذا أتت بناءً على قاعدة التّوافق بين مختلف المكوّنات الثّوريّة الحرّة بعيداً عن أيّ إملاءات أو تحزّبات".

تركيا تفتتح معبراً جديداً مع سوريا لحاملي بطاقة الـ "KIMLIK"

افتتحت السلطات التركية يوم الخميس معبراً حدودياً جديداً مع سوريا مخصصاً لعبور حاملي بطاقة "Kimlik" التي تمنحها الحكومة التركية للاجئين السوريين.

وأفاد مصدر مطلّع على عمل الجانب السوري من المعبر لـ"سوريتنا" أن السلطات التركية افتتحت المعبر لتسهيل عبور المواطنين السوريين الذين لا يحملون جوازات سفر، وهو مخصص للذين يحملون بطاقة تعريف تركية "Kimlik"، ولا يسمح لحاملي جواز السفر العبور من خلاله.

ولفت المصدر إلى أن إدارة المعبر تسمح لحامل البطاقة بتسجيل الخروج من تركيا، ودخول سوريا مرة واحدة كل 15 يوماً، مع عدم تحديد مهلة زمنية لمعاودة دخول تركيا من نفس المعبر.

وأضاف أن المعبر يبدأ عمله في الساعة الرابعة عشرة حتى الساعة السابعة عشرة من كل يوم، ويحاذي المعبر من الجانب التركي قرية "غوفيتشي" جنوبي إقليم هاتاي، ومن الجانب السوري قرية خربة الجوز التابعة لجسر الشغور في محافظة إدلب.

وفضلاً عن استخدامها للعبور من المنفذ الجديد، تعطي بطاقة "kimlik" لحاملها حق الاستطباب المجاني في المشافي الحكومية التركية، وحق التعلم في المدارس والجامعات التركية، إضافة إلى إعفاء حامل جواز السفر السوري الذي يمتلك البطاقة من غرامة المكوث في تركيا لأكثر من ثلاثة أشهر في حال رغب بالخروج من تركيا إل بلد غير سوريا.

أكثر من 46 ألف مولود سوري في تركيا منذ بداية اللجوء إليها

كشفت وزارة الصحة التركية عن أن النساء السوريات اللاتي لجأن إلى تركيا هربا من ويلات الحرب التي تعصف ببلادهن وضعن 46 ألفا و976 طفلاً في أربع سنوات.

ووفقا للتقرير، كان عدد الأطفال المولودين في تركيا 307 أطفال في عام2011 وارتفع إلى 39 ألفا في 2014.

وذكر التقرير أن 47 ألفا و974 طفلا ولدوا في تركيا خلال أربع سنوات. وتقدم 103 آلاف و946 شخصا في عام 2011 إلى العيادات في المناطق المأهولة باللاجئين، إلا أن هذا العدد وصل إلى 6 ملايين في 2014.

وتابع التقرير أن 248 ألفا و766 من اللاجئين الذين تلقوا العلاج في تركيا أجريت لهم عمليات جراحية، كما تطرق التقرير إلى عملية التطعيم التي أثارت انتباه الرأي العام في الآونة الأخيرة، وقد تم تطعيم 873 ألفا و371 لاجئا خلال 3 سنوات في تركيا.

الغوطة تستغني عن البحصة بسوق إلكتروني خاص بها

اشتهرت منطقة "البحصة" في دمشق باحتضانها سوقاً لمنتجات التكنولوجيا إضافة إلى تجمع عدد كبير من شركات ومراكز الصيانة والدعم التقني.

لكن أصبح الوصول إلى البحصة عصياً على أهالي الغوطة الشرقية المحاصرة منذ أكثر من سنتين، مادفع شباباً من أبناء الغوطة إلى إنشاء سوق جديد أغنى الأهالي هناك عن "البحصة" وتكفل بسد حاجة تلك المناطق للتكنولوجيا الحديثة إلى حد ما.

وتعرض أسواق الغوطة الإلكترونية بضاعتها عبر مجموعة أطلقها نشطاء في موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، وفيها يجد الزائر كل ما يحتاجه من قطع الكترونية، مع امكانية الشراء والبيع، إضافة إلى خدمة الدعم التقني التي يقدمها القائمون على الصفحة للزوار.

ويقول "أبو الخير" أحد القائمين على مجموعة سوق الغوطة الشرقية الإلكتروني لـ "سوريتنا: "نحن نقدم عبر مجوعتنا خدمة سوق متكامل، حيث يمكن للزائر طلب أجهزة محددة وشراؤها كما يمكنه عرض أجهزته للبيع في نفس المجموعة."

ويضيف "أبو الخير" أن الاختصاصيين المشرفين على المجموعة يعملون سوياً لإيجاد حلول مبتكرة لمشاكل معقدة كضعف تغطية شبكات الهاتف الخلوي، وذلك عبر ابتكارات تقنية بدلاً عن الاجهزة التقليدية التي تستخدم في هكذا حالات، والتي اصبحت نادرة وصعبة الإصلاح بسبب الحصار وفقدان معظم القطع الإلكترونية الأساسية.

وتضم المجموعة ما يزيد على 250 شخصاً يعيش معظمهم في مناطق الغوطة الشرقية، كما تضم مجموعة مشابهة مخصصة لأهالي الغوطة الغربية نحو 320 شخصاً.

حين نادت المساجد توضؤوا.. توقف الرصاص على بردى

■ دمشق - فؤاد دياب

كان كافياً للدمشقيين أربعة أيام من مياه، كي يغيروا كل ما لاكته ألسنتهم عن الكهرباء والبرد والنظام والمعارضة والهاون والبرميل، العاصمة بملايينها السبعة الذين تغصّ بهم المنازل والحدائق والملاجئ والمدارس، كانت تصبح وتمسي على سؤال واحد "إجت المي؟؟"..

أكثر من 7 ملايين قاطن في دمشق، غالبيتهم من وافدي الريف المدمّر، كانوا على استعداد ليدخلوا كتاب "غينيس" من بابه الخلفي، كأكبر عدد من العطشى في مكان واحد! تجربة دمشق (بطبيعة الحال) لا شيء أمام مأساة حلب، فالعاصمة التي ظنّت نفسها عطشى بأربعة أيام بدون ماء، لا تملك ما تعزّي به مدينة الشمال التي استطاعت - سابقاً - أن تبقى في الحدّ الأدنى من الحياة على مدى أكثر من أربعين يوماً بدون ماء.

وكما حُلّت مشكلة حلب، حلّت أيضا أزمة دمشق، بتسوية "من تحت الطاولة"، لم تعلن بشكل رسمي، لكن علمت بها أرصفة العاصمة قبل نسائها.

التسوية أُختصرت بوقف لإطلاق النار في منطقة وادي بردى التي شهدت عملاً عسكرياً مطلع الشهر الحالي، فيما تمت محاولة الحصول على مزيد من البنود ضمن هذه التسوية، لكن المعادلة البسيطة كانت، وقف النار مقابل ضخ المياه.

لا أدري ما هو الفصيل المسلّح المسيطر على منطقة عين الفيجة، لكن ما أعلمه أنهم مقاتلون محليون من أبناء البلدة والبلدات المجاورة، بيدهم مقاليد أمور المياه منذ ما يزيد عن عامين، وفي جعبتهم مفاتيح الصنابير، أصدروا بياناً رسمياً مع اقتراب نيران قوات الحكومة إلى مداخل بلدتي عين الفيجة وعين الخضرة، يعلنون فيه نيتهم تلغيم وتفجير نبع عين الفيجة، ووقف ضخ المياه، في حال لم تتوقف العملية في الحال، حينها استمرت العملية، وتوقفت المياه، وتوقفت العملية، فعاد ضخ الماء.

معادلة التسوية في منطقة عين الفيجة لا تختلف كثيراً، عن معادلة النفط المستورد من "تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق" المسيطر على حقول النفط في المنطقة الشرقية، ولا تمتاز أيضاً عن معادلة "الكهرباء المستقدمة" من منطقة جيرود بريف دمشق التي كانت أيضا تحت سيطرة "أحرار الشام"، ولا تبتعد عن عشرات المعادلات وموازين قوى الميدان مع السياسة.

لا يهتمّ أبناء العاصمة كثيرا بمن سيطر داخل بلدة عين الفيجة، وأي عبارات تكتب على الجدران، أو ماذا يتكلّم السكان صباحاً، في بلدة تبعد عن العاصمة حوالي 27 كم، وكانت فيما مضى واحدة من أجمل المتنزهات. جلّ ما يعني الدمشقيين هو قدوم الماء، "ولو من العفاريت الزرق" على حدّ تعبير واحدة من الأمهات، التي شغلها الغسيل المتراكم، والصحون التي تنتظر ماء الجلي، أكثر من انشغالها بقذائف الهاون والرصاص المتفجّر وسيارات الإسعاف التي لا تنام.

وقد تابعت النسوة نشرات الأخبار خلال هذا الأسبوع، أكثر مما تابعنها عشية الضربة الأمريكية التي كانت متوقعة على دمشق العام الفائت، فيما شارك الرجال هذه المرة، الندب و"النق"، فـ"الماء خطّ أحمر" بحسب تعبير سائق التكسي الذي ما فرغ من حديثه عن المياه حتى أنزلني في منطقة البرامكة، وهناك، كان مؤذّن الجامع ينادي على المئذنة، أن يأتي المصلّين متوضئين، لأنه لا ماء في الجامع أيضاً.

ولتختم الحكاية، مع إعلامي إذاعي معروف داخل دمشق، يدعى عمر عيبور، حيث سمعته صدفة على مدى 5 دقائق على الإذاعة الرسمية، يتحدّث عن تسوية في الغوطة الشرقية، ويتكلّم عن العوائل المدنية التي خرجت من معبر حاجز الوافدين، وينهي برنامجه، بعبارات كانت قبل سنتين بمثابة التهمة التي "توهن نفسيّة الأمّة".

دعا عيبور أن يصلح حال البلاد، "فالصلح سيد الأحكام" و"اللّه يلمّ الشمل ويطيّب القلوب"، و"إنشا اللّه تصير المصالحة بدوما وكل الغوطة الشرقية" الأمر الذي لا يمانعه كثيرون من المقاتلين المحليين في محيط العاصمة، سواء أعلنوا ذلك صراحة، أو رغبوا به في السر.

لعلّ أبرز التسويات الناجحة كانت تلك التي حدثت في شباط 2014 بحي برزة شمال شرق العاصمة، إضافة لتلك التسوية التي كانت قبل عامين، وعادت، إلى غرب دمشق في منطقة عين الفيجة، حيث عاشت البلدة استقراراً طيلة تلك الفترة ضمن تسوية ضمنت الحياة سابقا للعاصمة، والآن تعود الحياة إليها مع تسوية جديدة.

«النغف أو الدودة الحلزونية» مرض خطير يظهر في دمشق

سجلت ثلاث حالات من مرض «النغف أو الدودة الحلزونية» بالقرب من دمشق، في أول ظهور لهذا المرض في سوريا وسببه دودة تتغذى من اللحم، بحسب خبراء في الأمم المتحدة.

يظهر داء النغف الذي يهدد الماشية، جراء وضع ذباب بيوضه في الجروح المفتوحة، ثم تتحول البيوض إلى يرقات تتغذى من اللحم. وهو ليس مميتا لدى البشر، لكن ظهوره مؤشر خطير على تدهور الظروف المعيشية في المنطقة التي تجتاحها الحرب، وفق خبراء منظمة الصحة العالمية.

وأصدرت المنظمة تحذيراً بشأن عودة شلل الاطفال إلى شمال سوريا، وكذلك حالات من السل والتيفوئيد والجرب على مستوى وبائي.

وصرح «كريستيان لندماير» المتحدث باسم المنظمة لوكالة «فرانس برس»: «أنه تم الإبلاغ عن ثلاث حالات من داء النغف في 19 تشرين الثاني في دوما بالغوطة الشرقية «.

وقال لندماير إن «مرض النغف ليس خطراً بحد ذاته، ولكن ينبغي النظر إليه باعتباره مؤشراً على نقص حاد في الماء والنظافة الصحية، وكذلك على تدهور الظروف المعيشية والاجتماعية في المناطق المحاصرة التي يصعب الوصول إليها».

وأضاف أن دمشق القريبة من منطقة دوما، والتي تحصل في الظروف العادية على نحو 350 ألف متر مكعب من مياه الشرب يومياً، لم تعد تحصل سوى على ثلث كمية مياه الشرب.

القطط لا تعرف النزوح

■ بهزاد حمو

علاء «مسعف القط» | رويترز

في زاوية شارع مهجور بحيّ "مساكن هنانو" بحلب، والذي أحالته الحرب إلى حطام متناثر، يجلسُ علاء محاطاً بعشراتِ القطط وهي تموء جائعة، بينما يهمُ باستخراج قطع اللحم من كيس ممزّقٍ موضوع أمامه.

يقول علاء بأن حكايته في إطعام قطط المدينة، بدأت مع حوالي عشرة منها، سرعان ما تضاعف العدد، ليصل إلى أكثرَ من مئة وخمسين قطة. بحسب علاء الذي يضيف ضاحكاً: "بلّشوا يعزموا بعضون لما عرفو إنو في لحم".

يعمل علاء سائقاً لسيارة إسعاف براتب لا يتجاوز (30 ألف ليرة) شهرياً، أي ما يعادل 200 دولار تقريباً. يتقاسمه مع القطط مناصفةً. "لإسكات هذا المواء الحاد، لا بد من اللحم" يقول علاء، الذي يجلب يومياً ما مقداره ثلاثة إلى أربعة كيلو غرامات من لحم الدجاج المثلّج.

عائد من سوق المدينة المدمّر معظمه، يتلقى علاء اتصالاً عبر جهازه اللاسلكي من إحدى جبهات الحرب، يناديه الصوت القادم مرتجفاً عبر الجهاز: "أسرع ما استطعت، يا علاء! ثمّة جرحى وعليك إسعافهم". وبعد حيرةٍ قصيرة لكن عميقة، يقول متنهّداً: "ثمة أكثر من مئة وخمسين روحاً تنتظر قدومي جائعة منذ الأمس، وفي المقابل هناك أرواح أخرى تنازع الموت على الجبهات". بهذه العبارة يصف الرجل حيرته بين إكمال طريقه وإطعام "جيش القطط المنتظرة"، أو التوجّه بعيداً إلى الجبهة كما طُلب منه، لإسعاف جرحى إحدى الفصائل العسكرية التابعة للمعارضة المسلحة والتي يعمل معها. لكنه يستدرك: "لن تموت القطط جوعاً إن تأخرتُ عليها لساعاتٍ أخرى".

داعش تنافس السيخوي

ما إن تقترب سيارة علاء تبدأ القطط المجتمعة في صفوف عبثية بالإنصات لهدير السيارة القادمة من بعيد، وما إن يُطلق علاء زمور الإسعاف مُفصحاً عن هويّته، حتى تبدأ القطط بالركض مسرعة باتجاه السيارة.

لم يستغرق علاء الكثير من الوقت في اختيار أسماء قططه، فكل منها كما يقول، يجسّد الاسم الذي أطلقه عليها من وحي الواقع المُعاش في حلب وسوريا عموماً منذ أربعة أعوام: "داعش السوداء لا تنتظر الإذن بمباشرة الطعام، كذلك سيخوي المنقّطة، تنقضّ على الكيس هناك أيضاً زورو النبيل - كما يصفه علاء - وهناك التاو، اللغم وغيرها".

تجتمع عشرات القطط أمام باب السيارة الخلفي، ولمجرد نزول علاء محمّلاً بكيس اللحم، تنقضّ عليه "السيخوي" ممزّقة أجزاءً منه، إلا أن "داعش" تبقى الأسرع أو ربما الأجدر باقتناص القطع الكبيرة من اللحم، دون أن تجرؤ أية قطة أخرى على التفكير بالاقتراب من حصّتها.

"زورو" فضّل التمهّل كجائع نبيل ريثما يباشر علاء برمي قطع اللحم له ولعشرات القطط الأخرى قتلتُ قطّة!يسير علاء بعد الانتهاء من إطعام القطط في شوارع حيّه الفارغ، والذي شهدَ مع دخول كتائب المعارضة المسلحة شهر آب 2012 اشتباكات عنيفة مصحوبةً بقصف من الطيران الحربي والمروحي مما أدّى إلى تدمير أكثر من 250 منزلاً، وفقد 380 طفلاً من أبناء الحي لحياته، بحسب إحصائيات نشطاء من المدينة.

يحمل علاء قطّته المنزلية "لولو"، يمسّد وبرها الأبيض، متحدّثاً بحسرة عن حادثة إنقاذه لقطةٍ من تحت أنقاض منزل تعرّض لبرميل متفجّر، ومن ثمّ اضطراره لقتلها "بعد أن فقد الأمل بشفائها" على حد تعبيره وبرّر فعلته بحديثٍ نبويٍّ لم يتذكّره.

القطط لا تعرفُ النزوح!

الحرب الدائرة في حي مساكن هنانو، والذي يخضع في الوقت الحالي لسيطرة فصائل عدّة من المعارضة المسلحة، دفعتْ أكثر من سبعة آلاف عائلة إلى النزوح مما حوّله لرقعة واسعة من الدمار يخيّم عليه صمتٌ مطبق ومواءُ قطط علاء، ليجد الأخير فيها تعويضاً عن أصدقائه الرحلين من قتلى ومهاجرين.. يختتم علاء حديثه قبل أن يصعد سيارة الإسعاف متوجّهاً إلى إحدى الجبهات على أطراف المدينة: "من الجيّد أن القطط لا تعرف النزوح، كنتُ سأبقى وحيداً وسط هذا الدمار الكثيف".

تحولن لمعيلات، سيدات سوريات يعشن غياب الزوج أو رحيله

■ درعا - سارة الحوراني

«شاهدت جثث جيراني تحت الأنقاض بعد سقوط برميل متفجر على منزلهم القريب منا، من بين الضحايا طفلة لم تتجاوز العامين؛ كانت بحضن والدتها، سقط البرميل على مقربة من منزلنا، وقتلت أسرة أخرى، كان من الممكن أن أكون مع أطفالي مكانها، ساعة القصف أهرب إلى البساتين كي احتمي مع الأطفال» بهذه الكلمات تصف علياء م 35 عاماً، جزء من يومها بعد أن استشهد زوجها برصاص قناص منذ أكثر من عامين تاركاً لها خمسة أطفال أكبرهم في التاسعة من العمر والأصغر يبلغ من العمر عامين ونصف العام.

علياء ليست وحدها، فمثلها الكثيرات من السوريات اللواتي فقدن معيلهن خلال السنوات الماضية بفعل الاقتتال في البلاد فاضطررن لحمل مسؤولية الأسرة في ظرف مادية واجتماعية صعبة للغاية، مع غياب شبه تام لمنظمات فاعلة في مساعدة الأسر المنكوبة جراء الحرب.

ما تزال علياء تعمل في مركز صحي تابع للحكومة السورية لتأمين احتياجات أسرتها المالية، في ظل غياب مؤسسات وهيئات قادرة على تقديم المساعدة لها، وإن وجدت بعض الهيئات الإغاثية، تتدخل الواسطة والمحسوبية في عملها «انتقل يومياً بين البلدة التي نزحت إليها ومكان عملي الذي يبعد عنها أكثر من 30 كيلو متر، معرضة نفسي للكثير من المخاطر، وغالباً ما يتم استهداف بلدتي أثناء تواجدي في العمل بالبراميل المتفجرة أو بالقصف المدفعي، إضافة إلى مخاطر الطريق الطويل والغارات المفاجئة للطيران السوري».

لا تقتصر معاناة المرأة على وفاة زوجها، بل قد تتضاعف حين يتم الاعتقال، هذا حال أم محمد، التي اعتقل زوجها وابنها من قبل قوات النظام قبل أكثر من ثلاثة أعوام، لم يتجاوز عمر ولدها محمد السادسة عشر، حين اعتقل برفقه والده، ومنذ تلك اللحظة انقطعت أخبارهما مع استحالة العثور على أي معلومة عن مصيرهم المجهول، فباتت أم محمد المسؤولة عن تأمين احتياجات الأسرة ورعايتها.

تقول: «أعمل اليوم مع بقية أولادي في قطاف الزيتون لتأمين جزء يسير من المال لسدّ احتياجاتنا، يبدأ عملنا منذ ساعات الصباح الباكر، ولا نعود إلا قبل الغروب بقليل، لا يتوفر العمل في هذا المجال بشكل مستمر، وغالبا ما نفقد المال ونعيش على الكفاف، وأحيانا يساعدنا بعض الأهالي بتأمين الطعام والخبز، ثلاثة من أبنائي تركوا المدرسة، أحدهم يعمل في ورشة لتصليح السيارات لكن المقابل المالي لا يكاد يؤمن لنا ربطة خبز نظراً لارتفاع الأسعار».

مع الفاقة وغياب الرجل عن العائلة، انتشرت ظاهرة زواج القاصرات في درعا وريفها، وفي ظل غياب هيئات ومنظمات تعمل على علاج تلك الظاهرة يشكل «الفقر» المسمى الرئيسي والمبرر الغير مقنع لها.

أم علي، استشهد زوجها منذ ثلاث سنوات، وتركت لوحدها لتدبير شؤون أسرتها المكونة من 6 أشخاص، زوّجت ابنتها البالغة من العمر 13 عاماً منذ 3 أشهر لشاب يكبرها بعشر سنوات قائلة: «لست سعيدة بتزويج ابنتي الطفلة، حيث انتزعتها من ألعابها، وألبستها لباس المرأة الناضجة، لكن الظروف المعيشية القاهرة وسوء الأوضاع من كافة الجوانب وغياب الأهل، خاصة أقارب زوجي، وتخليهم عن مساعدتي ب في رعاية الأطفال معنوياً ومادياً، دفعني إلى الإقدام على تلك الخطوة بعد أن سُدّت أبواب الحياة وضاقت أمعائنا من الجوع والقهر».

أم علي، استشهد زوجها منذ ثلاث سنوات، وتركت لوحدها لتدبير شؤون أسرتها المكونة من 6 أشخاص، زوّجت ابنتها البالغة من العمر 13 عاماً منذ 3 أشهر لشاب يكبرها بعشر سنوات قائلة: «لست سعيدة بتزويج ابنتي الطفلة، حيث انتزعتها من ألعابها، وألبستها لباس المرأة الناضجة، لكن الظروف المعيشية القاهرة وسوء الأوضاع من كافة الجوانب وغياب الأهل، خاصة أقارب زوجي، وتخليهم عن مساعدتي في رعاية الأطفال معنوياً ومادياً، دفعني إلى الإقدام على تلك الخطوة بعد أن سُدّت أبواب الحياة وضاقت أمعائنا من الجوع والقهر».

ليس الفقر والجوع فقط ما يدفع لتزويج القاصرات، بل الجهل أيضاً، فأحد الأشخاص قام بتزويج ابنتيه قبل أن تتجاوز ال 13 والفتاة الثالثة على خطى شقيقتيها اللواتي تطرق المشاكل الزوجية أبواب حياتهن، إضافة لتعرضهن لأكثر من مرة لحالة إسقاط الحمل، وتم إعادتهن إلى أسرتهن من قبل الأزواج أكثر من مرة لتصرفاتهن الطفولية، في حين يتعرضن للعنف من قبل الوالدين لإجبارهن على التصرف كنساء راشدات. أم علي، استشهد زوجها منذ ثلاث سنوات، وتركت لوحدها لتدبير شؤون أسرتها المكونة من 6 أشخاص، زوّجت ابنتها البالغة من العمر 13 عاماً منذ 3 أشهر لشاب يكبرها بعشر سنوات قائلة: «لست سعيدة بتزويج ابنتي الطفلة، حيث انتزعتها من ألعابها، وألبستها لباس المرأة الناضجة، لكن الظروف المعيشية القاهرة وسوء الأوضاع من كافة الجوانب وغياب الأهل، خاصة أقارب زوجي، وتخليهم عن مساعدتي ب في رعاية الأطفال معنوياً ومادياً، دفعني إلى الإقدام على تلك الخطوة بعد أن سُدّت أبواب الحياة وضاقت أمعائنا من الجوع والقهر».

ليس الفقر والجوع فقط ما يدفع لتزويج القاصرات، بل الجهل أيضاً، فأحد الأشخاص قام بتزويج ابنتيه قبل أن تتجاوز ال 13 والفتاة الثالثة على خطى شقيقتيها اللواتي تطرق المشاكل الزوجية أبواب حياتهن، إضافة لتعرضهن لأكثر من مرة لحالة إسقاط الحمل، وتم إعادتهن إلى أسرتهن من قبل الأزواج أكثر من مرة لتصرفاتهن الطفولية، في حين يتعرضن للعنف من قبل الوالدين لإجبارهن على التصرف كنساء راشدات.

إلى سوريا.. مع كل الحب

■ خالد كنفاني

طال الغياب هذه المرة عن حضن "سوريتنا" الدافئ، طال عن ملاذنا الأخير حيث نتحدث بحريتنا كما نحن وكما هي طبيعتنا، ولعل في اسمها "سوريتنا" ما يشي بحلمنا أن نبني سوريا كما نريدها نحن وكما أردناها دوماً. ولكن ظروف التنقل والهجرة وشتات السوريين في تيه المحيطات والبحار والسفارات الأجنبية ومطارات دول اللجوء جعلت من حياتنا جحيماً متنقلاً حتى ولو عشنا في الجنة.

أكثر ما تضيق به نفوسنا هو ذلك الشعور بالضياع وفقدان الاتجاه في صحراء هجرتنا التي لا ترى نهاية ولا أملاً، فجميع من حولنا لديهم أوطان ينوون العودة إليها يوماً ما عاجلاً أو آجلاً، جميعهم يعملون داخل أو خارج بلدانهم أملاً في مستقبل لأولادهم وربما أحفادهم، بينما يتيه السوريون باحثين عن ذلك الوطن الذين يريدون بناء مستقبل أولادهم فيه بعدما فقدوا سوريا التي كانت ملاذهم ومأواهم، رغم كل ما مرّ عليها من ظروف وأنظمة توالت على تدميرها وتخريبها ولكنها بقيت بلدنا ووطننا بلا منازع.

يسألني من حولي: "من أين أنت؟" فأجيب: "من سوريا"، ويشترك الجميع برد فعل متقارب، نظرة من حزن وأسى قد تتجاوزها إلى الشفقة، غير أن أهم ردود الأفعال تأتي من أولئك الذين إما زاروا سوريا أو عاشوا فيها فيما مضى، فهؤلاء يحملون ذكريات لا حصر لها عما قضوه هناك من أيام وأوقات يصفونها هم "بأقصى السعادة" نظراً لبساطة الحياة وترحاب الناس وضيافتهم وإبداعاتهم التي لا تنتهي رغم ظروفهم الصعبة وقهر الدولة لهم والتضييق عليهم.

يقف السوري اليوم بين الناس على استحياء في كثير من الأحيان لأنه ملّ نظرة الشفقة والأسى التي يراها في أعين من حوله، بات يرى في أعينهم الشك أحياناً في أنه مستعد لاستغلالهم للحصول على أي شيء قد يكون إقامة أو تذكرة أو جنسية أخرى، باتت شهرة السوري اليوم أنه الباحث عن أي مأوى أو ملاذ وبالتالي تحوم حوله الشكوك في كل ما يفعله، وهو ما يزيد معاناته وإحباطه.

إذا دخل السوري أية سفارة بشكل رسمي وقانوني رُفض طلبه "لانعدام مصداقية أسبابه للسفر"، وإذا قصد سماسرة الموت وركب البحر نبذه الناس واعتبروه دخيلاً على أرزاقهم وأمنهم ولفظوه إلى البحر مرة أخرى. ونتوقع أن يزداد الأمر سوءاً بعد سقوط النظام لأن مبررات اللجوء لن تعود موجودة وسيقوم كل من يدعون مساعدة السوريين بسد كافة الأبواب في وجوههم بدعوى انتفاء أسباب هروبهم وسيعودون للموت المتربص بهم في كل زاوية.

يخبرني صحفي أجنبي عاش في سوريا ثلاث سنوات بأنه يعتبر تلك السنوات الأكثر سعادة في حياته، وهو لم يكن يقول ذلك أمامي مجاملة وإنما كان يقول ذلك في جمع من الأجانب الذين اجتمعوا في ندوة أدبية تناقش البلدان المعرضة للاختفاء، ولم يكن النقاش بالطبع متعلقاً بالاختفاء القسري وإنما الناتج عن عوامل الطبيعة، غير أن الظروف السورية هي التي جعلت سوريا مرشحة للانضمام للمجموعة ذاتها. أخبر الصحفي جميع من حوله عن تناغم الحياة السورية رغم منع إبداء الرأي وكيف كان التعايش الغريب بين المجموعات المختلفة في سوريا مثيراً للاهتمام والإعجاب في الوقت ذاته.

ورغم تحفظات كاتب السطور الشديدة على فكرة الوحدة الوطنية "الكاذبة" من أساسها، إلا أن الحقبة التي يتحدث عنها ذلك الصحفي كانت بذرة لنشوء مجتمع جديد يعرف الكل حدوده كما يحافظون على خصوصياتهم، لا يدري الكثيرون أن ثورة السوريين كانت ضد نظام الإقصاء والعنصرية لا ثورة لأجل الفوضى والخراب والدم، ولهذا يمكن فهم خيبة أمل الكثيرين الذين لما رأوا ما آلت إليه الأمور نفضوا أيديهم من الثورة ومن أصحابها الذين قلبوها تعصباً وقتلاً وتدميراً ونهباً لمصالح شخصية وأجندات مريبة.

تسارع تطور الأمور وزاد عدد المتطفلين على الثورة من وزراء وسياسيين ومنظرين من مختلف دول العالم، كان الجميع يعطي توصيفات وتحليلات لما يجري على الأرض في سوريا بينما لا يوجد أي منهم على الأرض، أو على الأقل لم يدخل سوريا في حياته أو ربما غادرها منذ ما لا يقل عن عشرين عاماً اختلفت فيها طبائع الناس كما اختلفت عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم. وبدأنا بسماع نظريات وتصريحات وتفسيرات للثورة والمظاهرات ومطالب الثوار على طرفي المسألة: المعارضة والنظام. وهكذا تم بناء نظرية العصابات المسلحة والمندسين والإمارات السلفية بل وتقديم قرابينها على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون السوري وحليفتها شاشة الدنيا، وظهر فجأة عدد رهيب من المطبلين والمزمرين الذين يبنون النظريات ويخوضون في إثباتها وكانوا على استعداد لإقحام أي دليل أو معلومة في خانة اتهام الثورة ووصفها بأبشع الأوصاف. وكان واضحاً أن هناك ميزانية إعلامية ضخمة تم توظيفها لخدمة النظام والطعن في الثورة وهي لم تشمل السوريين فحسب بل امتدت لتصل إلى شخصيات من لبنان والعراق والأردن ومصر وتركيا وغيرها. وفجأة ظهر كذلك مقدار الاختراق الرهيب الذي كان النظام يزرعه منذ عقود طويلة داخل بلدان أخرى وكأنه كان يخبئ "بوقه" الأبيض ليوم أسود.

إن من قام بتحجيم الثورة وتسليحها وأودى بها في مهالك الحرب الأهلية وتدمير الوطن هو من يقوم اليوم بتقزيم السوريين وتشريدهم واحتقارهم ومهانتهم. هو ذاته من يتسول الملايين باسمهم ثم يرمي لهم الفتات ويتهم نساءهم في أعراضهن وشرفهن ويذل رجالهم ويتيم أطفالهم. وللأسف الشديد فإن من يعاونهم في كل ذلك نفر من السوريين أنفسهم، الذين تلذذوا بالخنوع لهذا وذاك وطاب لهم المقام في الفنادق والمنتجعات وخافوا على مراكزهم وسفرياتهم وحساباتهم في البنوك ولا ننسى أن كثيراً منهم يحملون جنسيات أجنبية ولا يعبؤون إن انتصرت الثورة أم هزمت، فتقاعدهم في بلدان المهجر جاهز وعائلاتهم في أمان ولديهم ما يكفي من الوقت ليجمعوا المزيد والمزيد من الأموال وحضور المزيد من المؤتمرات والندوات الصحفية والأضواء والشهرة.

في خضم هذه البحر المتلاطم من المفارقات تظهر الوجوه البائسة العفنة "لرموز" المعارضة السورية الذين يملؤون الشاشات صراخاً وصياحاً وشتائم لم يشبعوا منها لأنها باتت مصدر رزقهم الوحيد، ولهذا كان من المتوقع أن يرفضوا هم وقادة الجيش الحر الذين يحاربون عبر السكايب أية مبادرات روسية أو أمريكية، لأنهم يخشون انقطاع مصدر الرزق، فماذا لو سقط النظام وتم الطلب إليهم ترك فنادقهم وأماكن إقامتهم الفارهة والعودة إلى سوريا لبدء العمل؟ حينها سينكشفون وينكشف سخفهم وضعفهم وتفاهتهم أمام تضحيات الناس الكبيرة وحينها لن يرحمهم أحد وستتم محاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة ولن يحتملوا الوقوف أمام أم سورية فقدت أولادها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

يتخبط السوريون اليوم ما بين استبداد النظام واستبداد من يتصارعون على تركته ووراثته، فحامل البندقية هو صاحب الحق واليد الطولى مهما اختلفت تسميته أو انتماءاته، وهكذا يتم تفصيل الحق على مقاس صاحبه بقطع النظر عن مصالح الناس أو الأهداف الاستراتيجية البعيدة في بناء وطن جديد. تم تدمير البنية النفسية والاجتماعية على مدى خمسة عقود من حكم البعث، ويتم استكمال هذا المشروع بأيدي مسلحين غرباء ومرتزقة وافدين ومحليين لدى كل منهم مشروعه الشخصي أو القريب المدى. دفعت السعودية وقطر وتركيا المليارات حتى اليوم بالترتيب مع القوى الكبرى لتدمير ما تبقى من سوريا ولعقود قادمة، وهذا ليس تبرئة للنظام لأن النظام يبقى المجرم الأول والأخير والمسؤول عن كل الأحداث السابقة واللاحقة، ولكننا نستطيع القول وبكل ثقة أن ما قام به النظام كان بالاشتراك والتنسيق الكامل مع كل "أصدقاء الشعب السوري" ولا يوجد بريء عندما يتعلق الأمر بما حدث في سوريا.

ضاعت الثورة وضاع السوريون وضاعت سوريا، وجل ما يحلم به أي سوري هو الهجرة وحمل أية جنسية أخرى مهما كانت وضعيتها، لقد بدأنا نسمع بأخبار غرق السوريين المهاجرين بشكل غير شرعي إلى شواطئ فرنسا وإيطاليا وهي تشي بمزيد من السواد في مستقبل لم نعد نرى فيه أبعد من يوم غد.

من قلب حصاره، صاحب الملوك الثلاثة:
البنادق حولنا بلا فكر

■ عامر محمد

لا أعلم أين هم الأطفال الثلاثة الذين ظهروا في صورتي التي التقطتها في ساحة الريجة في مخيم اليرموك، "الملوك" الثلاثة غادورا المخيم من حاجز حجيرة في وقت لاحق " يقول المصور الفلسطيني نيراز سعيد المقيم في مخيم اليرموك العطش والذي يدخل يومه الثاني والثمانون من انقطاع المياه الصالحة للشرب "اليوم، استشهدت طفلتان في قصف على المخيم" يضيف سعيد ابن الثالثة والعشرين عاماً "لكن المخيم في وضع أفضل مما سبق".

الصورة، اللوحة، أو اللقطة للأطفال الثلاثة فازت في مسابقة نظمتها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الاونروا" عن عام 2014، نيراز كان يعلم بأن صورته ستنال الجائزة ويقول " الذي يهمني أن يتصدر خبر المخيم جدول الأحداث في داخل فلسطين، نعم كنت سعيداً على المستوى الشخصي، لم أستطع مغادرة المخيم حتى الآن لا من أجل الجائزة ولا حتى من أجل فيلمي الذي سيعرض في مهرجان دبي السينمائي".

لا تحتاج إلى الكثير من التأمل في اللوحة "الملوك الثلاث" كي تدرك أي حالة يعيشها أطفال ومدنيون في اليرموك، أجساد هزيلة وقوام مصاب بالهشاشة، رؤوس حليقة وعيون متعبة، فالوالد معتقل ولا يعلمون عنه أي شيء، وفي اللحظة التي سجلت فيها عدسة سعيد تموضعهم، كانوا يأملون أن يغادروا المخيم ذلك النهار، لكن هذا لم يتم إلا لاحقاً، هم والآلاف غيرهم يسعون للخروج من اليرموك ولو إلى حين بحثاً عن طعام أو دواء، أو حتى هواء.

تكفي صورة بهذه الحدة، وحتى أقل منها كي تحولك إلى مطلوب من كل أفرع الأمن والمخابرات والميليشيات والكتائب واللصوص داخل الحصار وخارجه، فمن يمنع اللقمة يخشى الفضيحة المصورة، سعيد لم يعد يخشى أياً منهم، قبل أشهر أقام معرضاً في رام الله بفلسطين لصور التقطها في المخيم، يضيف " هو وجع الناس وألمهم ما يشغل بالي، لا الموقف من النظام ولا الموقف من المعارضة يعنيني، ربما أكون مطلوباً اليوم، لكني لن أتوقف عما أقوم به، الناس هنا في المخيم مثقلة بالهموم، أعلم أن لا أحد يريد الحقيقة، فكل البنادق المُشهرة اليوم لا تحمل فكراً، هي فقد أدوات للتسلط لا أكثر، أنا باختصار أقوم بنقل وجع من لا يملكون صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي".

عاد سعيد إلي سوريا وإلى المخيم مع اندلاع أزمته، وهو كفنان ليس مديناً للأزمة اليوم بل مدين للناس " للوجوه التي في المخيم، لمن سمحوا لي بالتقاط صورهم ووجوههم، لمن قبلوا أن أوثق جوعهم

نظمت مسابقة الأونروا لهذا العام تحت عنوان "أنا لست رقماً"، كدعوة للمشاركين الشباب لالتقاط قصص ومشاعر الناس والتي تتعدى كونها مجرد عناوين أخبار، ولتسجيل تفاصيل الحياة الشخصية لقوائم الفلسطينيين الذين قتلوا، أو جرحوا أو شردوا نتيجة للصراعات في جميع أنحاء المنطقة. المسابقة السنوية بدعم من الاتحاد الأوروبي وهي مفتوحة لجميع اللاجئين الفلسطينيين الذين تتراوح أعمارهم بين 16 - 29

الفائزون بمسابقة التصوير

- الجائزة الأولى: نيراز سعيد، مخيم اليرموك، سوريا
- الجائزة الثانية: منار نخله، رام الله، فلسطين
- الجائزة الثالثة: رهام الغزالي، غزة، فلسطين
- جائزة اختيار الجمهور: خالد عاطف حسن، غزة، فلسطين

ووجعهم، مع هؤلاء تطور لوني، وتحسنت لوحتي وصورتي، نعم أنا مدين لهم، أحاول أن أنقل هدا الألم كنوع من رد الجميل لهم، سواء أغضب هذا الطرف أو ذاك".

هطلت قذيفة في ساحة الريجة التي توزع فيها المساعدات الغذائية من قبل الأمم المتحدة على مدنين في المخيم تدفقوا إلى نقطة التوزيع، عمّ الفزغ من المقدوف قبل أن يبدأ إطلاق النار من خارج المخيم إلى داخله،، عدوى الرصاص أصابت من يحمل السلاح في داخل اليرموك، فأطلق الرصاص من الداخل إلى الخارج أيضاً، سعيد كان هناك، مع الجائعين العالقين بين رصاصتين، هنا يحتار المصور بين الضغط على مفتاح فتح العدسة ليُثبت فعل الرصاصة في اللحم، وبين رمي الكاميرا لرفع جريح وإغاثة مصاب، يقول:" التقطت صورة لثلاث نساء يركضن نحو النجاة، كان من الممكن أن اساعدهن في الهرب، لكن المصور في داخلي هو من انتصر، ظللت لأيام أفكر فيما

فعلت، أيهما واجب الفعل أكثر؟ تلك اللقطة لا تزال مفضلة لدي بشكل خاص".

يسأل سعيد ذلك السؤال الأزلي "لا أعلم حين أرى طفلاً يحاول انتشال شيئاً من القمامة ليأكله، هل أصوره أم أساعده؟ يقول المصور أن عليه أن يقوم بما يجيد فعله حقاً وهو التصوير لنقل تلك التفاصيل اليومية التي يعيشها المدني المحاصر من ضفتين، والحل لن يكون إلا بيد فلسطيني ثم سوري"، هذا ما يراه سعيد الفنان المصور المحاصر.

العنف ضدّ المرأة السورية ظاهرة أم ثقافة

■ القامشلي - جوان تتر

إن مفهوم العنف ضدّ المرأة يتعدى الحالة الفردية التي من الممكن لنا رصدها عبر التاريخ، فظاهرة العنف الممارس ضدّ المرأة بشكل عام كانت على مر الزمان من إحدى عيوب، ليس فقط في المجتمعات النامية والمتخلفة، بل كانت تطال حتى أكثر المجتمعات تطوراً على الرغم من كثرة الاجتماعات الدولية والقرارات الصادرة عن المؤسسات ذات الاهتمام بهذا الموضوع، وكما أسلفنا موضوع العنف ضد المرأة لا يتعلق بالمجتمعات المتميزة بالتراتبية الطبقية والتخلف والتي تنعدم فيها حقوق الإنسان بشكل عام فقط، بل إن أكثر الدول تحضّراً والتي تتحقق فيها شروط العيش الحر الكريم اعتماداً على القوانين الناظمة لسير حياة البشر هي أيضاً تعاني من هذه المشكلة ولكن بنسب قليلة.

وفي سوريا فإن الصراع الدائر والنزاع المتزايد منذ سنوات أربع فاقمَ من هذه المشكلة، ويخشى حقوقيون وعاملون في مجال مناهضة العنف ضدّ المرأة من أن يتحوّل إلى ثقافة منتشرة، إلّا أنّ النظام السوري وعساكره أفصحوا عن هذا العنف الممنهج ضد المرأة عبر متابعتنا لحالات الاغتصاب التي حصلت في بعض المناطق السورية، وهي حالات كثيرة غير قابلة للإحصاء الدقيق بسبب صعوبة وصول اللجان المختصّة بمثل هكذا قضايا إلى مواقع الحدث، ناهيك عن الاعتقالات التعسفية ضد الناشطات والإعلاميّات السوريّات من قِبل النظام السوري وأجهزته الأمنيّة.

في مدينة القامشلي، كان العنف ضدّ المرأة كثيفاً، خاصةً في القرى المتاخمة

للقامشلي، هذه القرى التي تعتمد على نمط حياة تقليدية غير متحضّرة، مجتمع ذكوري بامتياز ولم تكن المرأة فيها سوى أمّاً وربّة منزل، أو زوجة أو أخت تنفّذ طلبات الذكور ليس إلّا، تقول السيّدة إلهام مبروك وهي امرأة في الأربعين (مرشدة اجتماعية): "كانت حالات العنف الممُارسة ضدّ المرأة موجودة بكثرة في الماضي القريب، خاصةً من الزوج أو الأب أوالأخ الأكبر، وهذه الحالات كانت كثيفة ولكن لم يكن بإمكان أحد أن يتدخّل فيها من مبدأ أنّ هذا الشيء كان ينظر إليه على اعتباره حياة خاصّة للآخرين وأمر شخصي لا يمكن التدخل فيه بأيّ شكل من الأشكال، ولكن مع قدوم التكنولوجيا وخروج المرأة من إطار القرية وتعرُّفها على حقوقها وبعدَ أن عُرفت قيمة التعليم بالنسبة للإناث من قِبَل الذكور، انخفضت هذه الحالة بعضَ الشيء إلّا أنّها لا تزال قائمة".

ويخبرنا محمود السيد وهو باحث في شؤون العنف ضدّ المرأة في القامشلي: "هناك منظمّات كثيرة قامت بعد اندلاع الثورة في سوريا، من أجل تنشيط مفهوم المجتمع المدني في أغلب مناطقها، لا سيما في القامشلي، وسعت لنبذ العنف وأشكاله المختلفة فوضعت هذه الجمعيات والمؤسسات المهتمّة بالأسرة حماية المرأة ومنع العنف الواقع عليها على رأس أولوياتها، عن طريق ورشات توعويّة، وقامت هذه المؤسسات بوضع خططٍ مستقبليّة لها من خلال نشاطات متعدّدة تقوم من خلالها بشرح مختلف أشكال العنف وتوعية المرأة بحقوقها المجتمعيّة، وعلى أنّها عنصر فاعل في تكوين مجتمع سليم".

وعن اكتشاف حالات العنف الممارسة، وكيفية رصدها يتابع السيد: "من الصعب تكوين فكرة شاملة عن حالات العنف الممارسة ضدّ المرأة، لاسيما في سياق الحياة المنغلقة التي تتميّز بها القامشلي، مجتمع تتميّز فيه الإناث بعدم الحديث عن حالات العنف الذي يتعرّضن له، وبالطبع هذا عائد إلى منظومة فكريّة وتقليديّة متوارثة عبر الأجيال، كذلك تتردد غالبية النساء في الإبلاغ عن حالات العنف خوفا من الفضيحة(هذا وفق نظرتهن)، مما يؤدي في النهاية إلى نقص في حالة الإحصاء الذي لا بدّ منه لتوثيق هذه الانتهاكات وتقديمها إلى المؤسسات المختصّة".

إنّ الثورة السورية غيرت مفاهيم كثيرة في المجتمع ولا تزال تغير، وذلك من خلال النشاط التوعوي المرافق لهذا الحراك الشعبي ولكن هل نجحت هذه النشاطات إلى الآن من تحجيم ظاهرة العنف ضد المرأة؟ ثم ما هي الأطر التي من الممكن التعامل معها في سبيل القضاء على هذه الظاهرة التي ستؤثر على جيل بكامله إن بقيت طي الكتمان؟ سلطات متعددة تمارس سياساتها في سوريا وتعرض خطط عملها وتنفذها ولكن ماذا بخصوص العنف ضد المرأة؟.

الاغتيال السياسي في لبنان (1)

■ ياسر مرزوق

رفيق الحريري | الشيخ حسن خالد | بشير جميل | كمال جنبلاط | رياض الصلح

بعد تسع سنوات من جريمة قتل رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري ورفاقه وسلسلة الجرائم التي ارتكبت بحق لبنان الوطن والكيان ها هي أخيراً المحكمة الدولية تعقد جلستها الأولى الفعلية في لاهاي، بعد انتهاء الجلسات التحضيرية ويصعب الحديث عن العدالة الدولية في لبنان دون أن يشط التفكير إلى ما يجري في سوريا، حيث ما من تعبير يستطيع الارتقاء إلى مستوى الفجيعة، وقد يكشف القضاء الدولي قريباً ما بات الجميع يعرفه، بأن من أمر بقتل الرئيس الشهيد رفيق الحريري هو نفسه من أمر بقتل جبران تويني وبيير الجميل وسمير قصير، وهو من تعثر في قتل مي الشدياق ومروان حمادة، وسلسلة الجرائم تطول الآن مع القتل والعذاب والظلم والكبت والقمع والتجويع الذي يجري في سوريا ربما لم يكن لسلسة جرائم النظام أن تتوالى على أجساد السوريين، لو أن العالم تدخل ليضع حداً لجرائم النظام في لبنان.

لم يرتبط تاريخ أي بلدٍ عربي بالاغتيال السياسي كما ارتبط بلبنان تاريخياً فمن لم يقتله الولاة العثمانيون في دمشق وعكا كانت النزاعات بين الأمراء والمشايخ والاقطاعيين كفيلة بتصفيته والقضاء عليه، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان الكبير قضى خنقاً في البوسفور على يد العثمانيين، وأمير لبنان الآخر بشير الشهابي وصل إلى الحكم على جثث الامراء الآخرين من آل شهاب وجنبلاط وفي مقدمهم الشيخ بشير جنبلاط والامير يوسف الشهابي وأولاده، كما أنهى العثمانيون حكمهم للبنان بالمشانق التي علق عليها العشرات من الزعماء والمثقفين والصحافيين.

في عهد الانتداب الفرنسي خفت حدة الاغتيالات إن لم نقل أنها توقفت، إلا أنه ومع مطلع الخمسينات بدأت سلسلة الاغتيالات تطال رموز الدولة، إلى أن بلغت أوجها خلال حكم آل الأسد لسوريا وحصدت هذه الاغتيالات رئيسي جمهورية وثلاثة من رؤساء الحكومة أثناء وجودهم في الحكم، كما طالت العديد من النواب والسياسيين ورجال الدين والصحفيين.

عام 1951كان اغتيال رئيس الحكومة رياض الصلح في الأردن، وفي عام 1977 تم اغتيال رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط بإطلاق الرصاص على سيارته في بلدة دير دوريت بالشوف، سبقها بعام محاولة اغتيال عميد الكتلة الوطنية ريمون إده، هذا الاغتيال وإن لم يقتل العميد إلا أنه نفاه حتى وفاته خارج لبنان، بعدها اغتيل الرئيس المنتخب بشير الجميل ثم مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد بتفجير عبوة ناسفة لدى مرور سيارته في بيروت. فالرئيس المنتخب والمرحب به دولياً رينيه معوض عام 1989.

الاغتيالات سابقة الذكر لم تكن هي الوحيدة خلال الحرب اللبنانية إلا أن ما يجمعها وحدة القاتل ألا وهو نظام الأسد الأب إلا أن أشدها وحشية كان اغتيال الصحافي اللبناني المعارض للنظام السوري سليم اللوزي، في جريمة استعادها الابن مع القاشوش وآخرين من رجالات الثورة السورية.

ففي 25 شباط عام 1980 اختطف اللوزي على طريق المطار لدى عودته من لندن ليتلقى العزاء بوالدته، وعُثر عليه مقتولاً بعد 9 أيام في أحراج عرمون "جنوب بيروت" قرب موقع للقوات الخاصة السورية. في مشهد تعذيب بشع: "ملقى على بطنه، في مؤخرة الرأس طلق ناري حطّم الجمجمة ومزّق الدماغ. ذراعه اليمنى مسلوخ لحمها عن عظمها حتى الكوع، والأصابع الخمس سوداء نتيجة التذويب بالأسيد أو حامض الكبريت. كما عثر على أقلام الحبر مغروزة بعنف داخل أحشائه من الخلف".

ولعل القاسم المشترك بين الجرائم السابقة إضافةً لوحدة الجاني، أنه أفلت في جميعها من العقاب لا بل حتى المساءلة حتى استساغ المجرم الاغتيال وسيلةً زهيدة الثمن للتحكم بلبنان والتخلص من معارضيه نهائياً، إلى أن وقع زلزال اغتيال الرئيس الحريري، ففي الرابع عشر من شهر شباط عام 2005 اغتيل الرئيس رفيق الحريري والنائب باسل فليحان بعبوة ناسفة زنتها طن من المتفجرات في منطقة السان جورج، وقتل ثمانية عشر من المرافقين وبعض المواطنين في جريمةٍ مروعة.

فداحة الجريمة والظرف الإقليمي في حينه أخرجا النظام السوري عسكرياً من لبنان، إلا أنه لم يمنعه من الاستمرار في مسلسل الاغتيالات مباشرة أو بواسطة عملائه حيث توالت الاغتيالات في صفوف المعارضين لنظام الأسد ابتداءً بالصحفي سمير قصير ثم الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي، والنائب والصحفي جبران تويني ثم وزير الصناعة اللبناني بيار الجميل، والنائب عن تيار المستقبل وليد عيدو، النائب عن حزب الكتائب أنطوان غانم فمدير العمليات في الجيش اللبناني اللواء فرنسوا الحاج والنقيب في فرع المعلومات بقوى الأمن الداخلي وسام عيد الذي اضطلع بدور كبير في مساعدة لجنة التحقيق الدولية الخاصة باغتيال الحريري، ورئيس فرع المعلومات لقوى الأمن الداخلي اللبنانية العميد وسام الحسن.

الرئيس رفيق الحريري

دخل النظام السوري لبنان على جريمة اغتيال المعلم الشهيد كمال جنبلاط، خرج منه على دماء جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وها هو اليوم ينازع البقاء على دماء الشعب السوري الذي سينتصر عاجلاً أم آجلاً، لكن من هو رفيق الحريري الذي شكل التحقيق والحكم في اغتياله سابقةً دولية فهذه هي المرة الأولى التي تحاكم فيها محكمة دولية أشخاصًا لجريمة ارتكبت ضد شخص معين.

رفيق بهاء الدين الحريري، الذي ولد في صيدا في جنوب لبنان لأب مزارع، وخريج المحاسبة من جامعة بيروت العربية والعضو النشيط في حركة القوميين العرب لاحقاً، شكل من خلال دخوله للحقل السياسي قبيل اتفاق الطائف حالةً استثنائية في بلدٍ تحكمه الزعامات التقليدية، فكانت له اليد الطولى في إنجاز اتفاق الطائف، ونقل لبنان من حال الانقسام والحرب والدمار إلى حالة الاستقرار والتواصل والوفاق وإعادة الإعمار، شكل حضوره الكبير مظلة أمان اقتصادية واجتماعية للبنانيين، ما أعاد الثقة الدولية والعربية بهذا البلد الصغير، وباستنهاض اقتصاده وإعادته إلى الخارطة الدولية.

من أشهر مواقفه وإنجازاته إنه كان متمسكًا بحق لبنان في المقاومة واسترجاع الأرض من الإسرائيليين، واتفاق نيسان الذي حيد المدنيين في مقاتلة إسرائيل وحق المقاومة في العمل على تحرير الأراضي المحتلة، كما أنه ساهم بإعمار وسط بيروت بعد الحرب الأهلية عن طريق شركته وقد حمل المشروع اسم سوليدير، كما قام بتثبيت مكانة لبنان الاقتصادية والسياحية في العالم العربي والغربي، وقد دعم انجازاته بشبكة علاقات دبلوماسية وشخصية مع قادة العالم.

أدى اغتياله إلى انهاء الوجود السوري في لبنان، وتشكيل لجنة للتحقيق تبعها تشكيل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، وتشير تقارير إعلامية إلى أن أصابع الاتهام تتجه للرئيس السوري بشار الأسد، الاتهام بالتضامن مع المرشد الايراني آية الله خامنئي، وأن عملية الاغتيال نفذت من قبل قوة القدس الايرانية بالتعاون مع منظمة حزب الله اللبنانية.

صحيح أن الادعاء العام في المحكمة الخاصة بلبنان لم يوجّه تهمة رسمية، حتى الآن، إلى رئيس النظام السوري بشار الأسد، إلا أن الجلسات الأخيرة للمحكمة تبين أنه لم يسبق لمحكمة دولية أن تعاطت بهذه القوة المعنوية ضد شخص كان في السلطة أو لا يزال فيها، كما يتم التعاطي مع بشار الأسد.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والعدالة الدستورية

■إعداد المحامي فارس حسّان

مصطلح العدالة الدستورية مصطلح قانوني حديث نسبياً عرّفه الفقيه الفرنسي «فرنسيس هامون» بأنها مؤسسة ينيط بها الدستور حل النزاع المتعلق بتطبيق أو تفسير نص له قيمة دستورية، بينما يعرّفه «روسو» باعتباره السلطة المعطاة لأشخاص يعينون ليقيّموا ويراقبوا ويعاقبوا عدم الملاءمة الدستورية لأعمال صدرت عن السلطات العامة، وبصورة خاصة القوانين التي يقرها النواب، فالتصويت هو الوسيلة الديمقراطية للتعبير عن الإرادة الشعبية ممثلةً بإرادة أكثرية النواب، فبالتصويت يترجم البرلمان سيادته ويقر القوانين، ومن خلال الرقابة القضائية على دستورية القوانين يفصل القضاة الدستوريون في هذه القوانين بناءً على مراجعة يقدمها أفراد أو مؤسسات يحددهم الدستور.

بالانتخاب يعبّر النواب عن إرادة الأكثرية، هذا هو الوجه الجميل الكلاسيكي للديمقراطية، أما الوجه الجديد والأكثر اشراقاً والذي يكمّل الوجه الأول فهو يتمثل في خضوع ممثلي الشعب لرقابة على أعمالهم يمارسها القضاء الدستوري الذي يعبّر أيضاً وبشكل غير مباشر عن الإرادة الشعبية بقيمها ومفاهيمها وفهمها للديمقراطية.

إلا أن الأمر لم يكن كذلك في أوروبا، منبت الديمقراطية فكراً وممارسة، فمنذ ما يزيد على نصف قرن كان للغالبية الساحقة من فقهاء القانون الدستوري، موقفاً سلبياً ورافضاً للرقابة على دستورية القوانين بحجة تعارضها مع مبدأ السيادة الشعبية حيث الشعب هو مصدر السلطات، وحيث أن القانون هو التعبير الأسمى عن سلطة الشعب، ولا سلطة تعلو سلطته التي يمارسها من خلال ممثليه في البرلمان.

إلا أن الاتجاه السابق نحو تنزيه سلطة الشعب أدى إلى معاناة أوروبا والعالم بأسره من النظام النازي الذي تسبب بحرب كونية هي الأكثر تدميراً في تاريخ البشرية، مع أن هذا النظام وصل إلى السلطة في ظل نظام ديمقراطي برلماني ومن خلال الانتخابات البرلمانية، الأمر الذي دفع بالفقهاء ورجال الفكر إلى الاقتناع بضرورة وجود ضوابط أو كوابح للسلطة منعاً للاستبداد وحفاظاً على الديمقراطية وعلى حقوق الانسان الأساسية وحرياته.

يقول «ليو هامون» وهو عضو مجلس دستوري سابق في فرنسا، إن آثار انتصار الديمقراطية في فرنسا كانت مختلفةً كثيراً عن نتائجها في ألمانيا، فعلى الرغم من تعاون حكومة فيشي مع النازية إلا أن النظام الديمقراطي الفرنسي لم يخسر الكثير من مقوماته وهذا ما أكده الجنرال ديغول عام 1944 بأن الجمهورية لم تتوقف أبداً عن الوجود.

ما ذكرناه سابقاً يفضي إلى يقينية وجوب التعامل مع المواطنة كسلة من الحقوق والواجبات تحت سيادة القانون الذي تقره الجماعة البشرية ديمقراطياً وفق تمثيل صحيح، وأي ادعاء مخالف يؤدي إلى مواطنة متطرفة إذا جاز لنا التعبير تنادي بالحقوق والحريات على إطلاقها، دون الاكتراث بالواجبات والقوانين، ونظرية العقد الاجتماعي الأساس القانوني للمواطنة والجدير بالذكر أن الدعوات للمناداة بأن الجماعة لا تُجمع على خطأ، له جذوره في تراثنا الديني والمعرفي ويتم الاستشهاد به لتبرير استبداد الجماعة، والاستشهاد به بغض النظر عن صحته أو عدمها بعيد كل البعد عن النظام الديمقراطي العلماني أحد أجنحة تطبيق المواطنة بمعناها الدقيق.

إن تعزيز سيادة القانون واستقلال القضاء يمثل إطاراً مرجعيا لضمان الحقوق وحماية الأموال ومطلباً أساسياً لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والسياسي وتوفير عناصر الثقة والأمان، مع ضرورة تفعيل التنسيق بين الأجهزة الأمنية والقضائية، بما يمنع حدوث أية اختلالات أمنية ويردع مرتكبي الجرائم سواء جرائم الاختطاف والتخريب أو غيرها من الجرائم، ومواصلة التطبيق الصارم لمنع حمل السلاح، وفي سوريا المستقبل ستجد المعارضة نفسها بأشد الحاجة للإحساس بهيبة الدولة وسيادة القانون والتغلب على مظاهر الفوضى، مما يسمح بعملية سياسية بناءة للدولة والمجتمع بحيث تكتسب الدولة هيبتها من سيادة القانون على القوي والضعيف وعلى الغني والفقير وعلى الحاكم والمحكوم وهذا هو معيار قوة الدولة ومناعتها، ومعيار الوحدة الوطنية، والشعوب التي تدافع عن قوانين بلادها هي التي تستطيع الدفاع عن أوطانها.

إن إغفال سيادة القانون في معرض حديثنا عن المواطنة تضعنا بين شقي رحى: الأولى عسكرية والثانية دينية أو ما يطلقون عليه: «الإسلام السياسي»، وكلاهما من أخطر ما يمكن على الشعوب، فالنقد غائب في كلا الحالتين: العسكرية والدينية، ولا يمكن أن تتقدم الشعوب بدون كلمة النقد، والنقد بمعناه العلمي يعني رصد السلبيات والايجابيات بكل موضوعية وأمانة، وتحديد طرق العلاج.

سيادة القانون، وإصدار نص في الدستور يمنع التمييز بين السوريين هو شعار المرحلة المقبلة، وإقرار دولة المواطنة. كما نريد إسناد المناصب وفق معيار الكفاءة، بغض النظر عن الدين أو اللون أو الجنس، وليس لاعتبارات أخرى، كما نتمنى من أول رئيس لسوريا بعد الثورة أن يعمل على تحقيق مطالب الثورة متمثلة في العيش والحرية والكرامة الإنسانية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

إن النظام الديمقراطي في أبرز تجلياته يجب أن يمنح السكان الحقوق والحريات بالإضافة إلى هذه الحريات يجب أن يحوي هذا النظام مجموعة من المبادئ التي على رأسها مبدأ سيادة القانون – وهو مبدأ مهم في النظام الديمقراطي، يتطرق إلى كون جميع المواطنين متساوين أمام القانون لا فرق بين غني وفقير، صاحب وظيفة مهمة كوزير أو موظف وذلك لأن القانون يعتبر ذا سيادة أي أعلى من الجميع وعليه إذا كانت نفس المخالفة يرتكبها شخصين مختلفين واحد صاحب وظيفة مهمة والآخر رجل بسيط العقاب يكون ذاته للشخصين.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

2 / 2 / 1992

استمرت العاصفة الثلجية، واستيقظنا على الثلج وهو يغمر الجهات والبيوت والطرقات. بعد الإفطار كان المشاة قلة، أما الباقي فهم يشربون الشاي ممسكين بالكاسات بأكفهم تحت البطاطين ويبدو من الأخبار أن العاصفة مستمرة. حيث نقلت الأخبار أن معسكراً في جنوب شرقي تركيا قد غمره الثلج نهائياً وانقطع ومات منه سبعون تحت الثلج، وأن قرية في تلك الجهات اندثرت، وأن الطرقات في لبنان منذ البارحة مقطوعة برمتها، وأن الثلج على ارتفاع مترين بين زحلة وبعلبك، وعلى ارتفاع عشرة أمتار فوق جبل الشيخ، وأن طريق القنطري بين الرقة والحسكة غير سالك، وارتفاع الثلج في المديرج ثلاثة أمتار. ولا توجد طرق نافذة في سورية سوى في حوران ودير الزور، والجرافات تعمل ليلاً ونهاراً، وإنجازها قليل نظراً لاستمرار الهطول الثلجي.

تكلم الأستاذ محمد فائق رئيس لجنة حقوق الإنسان العربي من «لندن» تعقيباً على تقرير الخارجية الأمريكية للعام الماضي:

1 - لا بد في الوطن العربي من التعددية، إذ لم يعد العالم يقبل الاستبداد وغياب القانون.

2 - لا يجوز أن يكون هناك من يعمل سراً، لأن سمة العصر هو العمل المكشوف.

3 - أكّد أن ما جاء في التقرير حول الوطن العربي ضئيل جداً قياساً مع واقع الحال.

بين النوم واليقظة.. رأيت نفسي في محل من محلات الصالحية أشتري لكل من خزامى وريما معطفين أسودين طويلين. فمنحتني كل منهما ابتسامة وقبلة، ووعدتهما بالمزيد، ومع المعطفين طاقيتين من الصوف.

3 / 2 / 1992

ما تزال العاصفة الثلجية تولول حول السجن، ورأينا اليوم إحدى الجرافات تعمل في الطرقات المحيطة به، وأخرى تعمل وراء أسواره لتشق الدروب أمام المداجن. الثلج أصبح بارتفاع نصف متر، وتقول الأنباء أنه اعتباراً من الليلة سيزحف منخفض جوي بارد مزدوج الرياح ويستقر فوق الأرض السورية وخاصة البادية ويؤدي إلى سقوط ثلج غزير تعقبه أمطار وهطولات كاسحة، كما أفادت هذه الأنباء أن منخفضاً آخر اتجه نحو دلتا النيل والحدود الليبية أدى لتوقف الملاحة في ميناء الإسكندرية.

كما تفيد نفس الأنباء أن الجنوب الشرقي من تركيا يتعرض لانهيارات ثلجية غطت قرية: - جيرفيك، وعدة قرى وبعض المعسكرات، وأن عمليات الإنقاذ مستمرة، ووصل عدد القتلى حوالي 270، وأن الأمطار والثلوج تجتاح محافظة الرقة، وطرق عين عيسى وتل أبيض غير سالكة، وكذلك محافظة حلب، ومحافظة إدلب وشمال محافظة الحسكة، وأن الجيش والدفاع المدني والطيران في مملكة الأردن في حالة استنفار، وتتهيأ بلاد الشام لاستقبال مزيد من الأمطار والثلوج.

إننا فرحون لهذا الثلج وهذه الأمطار.. فالجفاف والتصحر كانا عنواناً عريضاً لكثير من الندوات والحلقات، ومن كثرة ما قرأنا حولهما، بتنا نتخيل أن هذه البلاد ستجتاحها الصحراء والرمال، وها نحن نشهد هذا الدفق المتواصل فكيف لا نفرح والسدود سوف تخزّن، والمياه الجوفية سوف تصل لوجه الأرض، والأقنية سوف تسير عذبة، وعيون الماء سوف تنبثق.

أخذت إبرتين من البنسلين، كما صب الطبيب اليود على الدملتين.

أهل الرقة يخططون للوصول إلى المحافظة ويأملون بإخلاء السبيل.

4 / 2 / 1992

لم نستطع النهوض من تحت البطانيات، أسرعنا بعد الإفطار وقبعنا تحتها نشرب الشاي، ونزيد الكمية لتكون دافئة دوماً، وأطل البعض من شبابيك الممر، وأخبرنا أن تساقط الثلج مستمر، وأن الطرق التي عملت بها الجرافة عادت وتراكم الثلج عليها بارتفاع الإصبع.

احتفل اتحاد الصحافيين بعيد الصحافة، وهي مناسبة للتطبيل والتزمير والتمجيد. هذا الأسلوب الممتد على طول الوطن العربي وعرضه هو احتقار للرأي الآخر، وتكريس للاستبداد، للقضاء على طاقات هذا الشعب.

ها نحن في هذا الجناح بيننا أربعة من الصحافيين، لم نسمع أحداً يوماً من المؤسسة النقابية قد طالب أو ذكر أسماءنا، كأننا لم نكن يوماً في عداد الصحافة، أو العمل النقابي.

الأول: عبد الله المقداد: كان محرراً في سانا ومساءً يعمل إدارياً لصالح الاتحاد نفسه. معتقل منذ ربيع عام 1980 للمرة الثالثة. وهو من مواليد 1940 من غصم التابعة لبصرى الشام، ويسكن بالأجرة في كفرسوسة. لديه خمسة أطفال، ثلاثة أولاد وبنتان.

الثاني: اسماعيل الحجي الزعبي: هو من مواليد 1941، يعمل محرراً في وكالة سانا، خريج معهد الصحافة الجامعي في الجزائر. معتقل منذ أواخر عام 1982. أتبع دورة لغة فرنسية في الهافر من الشمال الفرنسي. كان مرشحاً كي يكون مراسلاً في إحدى الدول العربية. يسكن في نهر عيشة. له ثلاثة أولاد وأربع بنات. بعد ستتين وشهرين من اعتقاله فتحت زيارته. هو بالأصل من قرية الغاريه الشرقية في حوران.

الثالث: أحمد حبيب حمود من مواليد 1949 خريج معهد الصحافة في الجزائر يلم باللغة الفرنسية وضليع في النحو والصرف العربيين معتقل منذ ربيع عام 1982، هو من الدريكيش متزوج وله ولد وخمس بنات.

الرابع: كاتب هذه السطور من مواليد 18 / 12 / 1935. عملت محرراً منذ ربيع 1964 في « كفاح العمال الاشتراكي » لسان حال اتحاد نقابات العمال. ثم رئيساً للتحرير اعتباراً من عام 1969. بعد الـ 1970 عملت مديراً للإدارة، وقد اختُطِفْت من الطريق في 24 نيسان عام 1980، وفتحت زيارتي بعد عامين وشهرين، سافرت في وفود صحافية إلى مصر وألمانيا الديمقراطية. لي ولد وبنتان أسكن شرقي ركن الدين. زوجتي تعمل في هيئة تخطيط الدولة.

الجديد في جناحنا تفاقم حالة زهير سكرية. اقتادوه وأعطوه إبرة ونام ودثروه بعدة بطانيات.

قالت الأنباء: أن سرعة الرياح في مصر العليا مئة كيلو متر في الساعة، وقد بلغ ارتفاع الموج ستة أمتار، وأن جميع الموانئ والمطارات مغلقة.

أما في الأردن فالدوائر والمدارس عطلت والمطار أغلق أبوابه، والجيش والدفاع المدني في حالة استنفار من أجل عمليات الإنقاذ، وفي تركيا شرقاً وجنوباً تزداد الأحوال سوءاً وتستمر الانهيارات الثلجية واختفاء القرى والمعسكرات كما أن الثلج يتساقط شمال الجزيرة العربية وهو ينزل شيئاً فشيئاً جنوباً.

نبلاء، صامدون، هاربون، وانتهازيون
فنانو سوريا التشكيليون "11"

■ دمشق – حمزة السيد

المطرقة والأزميل

لم تكن مطاعم دمشق قد عرفت النحت كجزء من تصاميمها الداخلية قبل عام 2000، حيث كان الرائج هو لوحات رخيصة أو محاكاة سيئة للمنازل الدمشقية في أحسن الأحوال، لم تكن العاصمة أصلا قد عرفت المطاعم الفاخرة جداً قبل ذلك العام، إلا أن ما يمكن وصفه بالانفتاح الاقتصادي النسبي الذي حل بالبلاد بعد ذلك العام، حمل للعاصمة شركات ومشاريع سياحية أكبر من المعتاد، وحمل للنحاتين فرص عمل قيمة طالما غابت عنهم، فكانت مطاعم طريق المطار سباقة في الاعتماد على التشكيليين السوريين لإنجاز بعض الأعمال التي توزع في أركان هذه المنشآت، ومن أهمها في هذا المجال "آلف ليلة وليلة" الذي احتوى على عدة مطاعم منها مطعم هارون الرشيد، والذي نفذت له سلسلة من أعمال النحت التي تجاوزت الستين عملاً بمقياس " واحد ونصف على واحد"، وبالنسبة لـ المثالين أي النحاتين، فإن هذه النسبة تعني أن حجم العمل الواحد أكبر من المقياس الطبيعي بنصف مرة، هارون الخليفة مع حاشيته وراقصيه وجواريه، عازفين وخدم وحرس وسياف، زين بها المطعم في صفقة قد تكون الأضخم في سوريا التي توكل لتشكيلين سوريين.

كُلف أكثم عبد الحميد بالمهمة الضخمة، وكلف هذا بدوره - بعد أن وقع العقد الخاص بالعمل والذي يقدر بملايين الليرات السورية - واحداً من أكثر الأسماء التصاقاً به، عماد الدين كسحوت، النحات الذي لا يعرفه حتى ذلك الحين، إلا تلاميذه في معهد الفنون التطبيقية بدمشق، ومن تخرج معه من كلية الفنون الجميلة في دمشق، كسحوت بدوره اعتمد كعادته في تنفذ الأعمال التجارية على تلاميذه في المعهد من خريجي وطلاب قسم النحت، وبدأ العمل في حرم المعهد بقلعة دمشق، حين كان يرأس قسم النحت فيه، فيما يتولى عبد الحميد إدارة المعهد، قبل أن يتحول مكان العمل إلى جناح في معرض دمشق الدولي القديم، استمرت عملية النحت والقولبة لأكثر من عام، وقامت على جهد طلاب وخريجين، فيما لم يلمس كل من عبد الحميد أو كسحوت أي عمل سوى فيما يسميانه معاً عملية الإشراف، كان كسحوت معتاداً على استغلال طلابه في كل الأعمال التجارية التي كان منفذاً لها وليس متعاقداً، إذ كان اسم عبد الحميد هو المطلوب في السوق آنذاك، فيما يتحدث فنانون شباب عرفوه في تلك الفترة عن عملية استغلال مادي تعرضوا لها من قبله خلال أعمال "هارون الرشيد" فضلاً عن مشاريع أخرى أشركهم بها.

لن تجد فناناً واحداً في العالم يفتخر بالأعمال التجارية التي نفذها من أجل المال والمال فقط، مثلما يفعل كسحوت الذي لا يوفر فرصة كي يعدد تلك المشاريع التي عادة

ما يُجبر عليها الفنان كرُمى للقمة العيش، إن لم يخجل منها أصلاً، كسحوت يسردها لك بفخر نادر، ماراً على أسماء المطاعم والفنادق وكأنه يمر على أسماء صالات كبرى في العالم، لكن هذا طبيعي من "مهني" وليس بفنان، فلن تجد عملاً واحداً مهما بحثت، يحمل توقيع كسحوت، اللهم إلا تلك المنحوتات التي نفذها في ملتقيات أمن له عبد الحميد المشاركة بها، فحمله معه إلى اسبانيا في ملتقيات الحدائق السورية، وإلى جبلة ومشتى الحلو، فأخرج كسحوت كتلاً مربكة وبلا هوية، فتارة يقدم تكويناً لا يليق بطالب في المعهد أن يقدمه "عمل ملتقى دمشق الدولي الأول ٢٠٠٩" أو يمزج بين تكوين "بعجانو" و"برشين" و" السيد" ليخرج بتكوين مضغوط لا شكل له "اسبانيا ٢٠٠٤" أو قد يكون غراً بشكل فاضح، فينسخ جزءاً من لوحة نحت نافر نفذتها واحدة من طالباته لصالح مطعم ما، ليكون عملاً له في المعرض السنوي "٢٠٠٤ الجناح السوري مدينة المعارض".

حتى الآن يتصرف كسحوت كمتطفل على التشكيل، وكاد يكون خارج أي ذكر لولا تلك المناصب التي تسلمها الرجل، فمن رئيس لقسم النحت في معهد الفنون التطبيقية، إلى مدير للمعهد بعد أن تولى عبد الحميد مديرية الفنون الجميلة في وزارة الثقافة، ثم إلى مدير للفنون الجميلة.

علاقة الرجلين "عبد الحميد وكسحوت" لم تكن مفهومة قط للمقربين، إذ اعتاد عبد الحميد تأنيب كسحوت علناً وأمام أشخاص من المفترض أنهم طلابه، فيما كان كسحوت يردد آراء عبد الحميد في أي طالب أو عمل أو تصرف، وينفذ ما يمكن وصفه بتلك الأعمال التي يترفع الأول عن تنفذها بيده، فلم يكن الثاني سوى تابع مطيع للأول الذي ابتكره فسأهما معاً في خلق جيل من التشكيلين السيئين وعديمي الموهبة ومنحا معاً فرصاً في ملتقيات ومعارض لمن يشبهون عبد الحميد ويتبعون له، وبالرغم من أن هذا الأخير يعتبر أنه اختار الأفضل من طلابه كي يظهره إلى العلن، إلا أن التجربة تقول أن هؤلاء كانوا أسوء الأسوأ، مع استثناءات قليلة كـ همام السيد، يشاركهم في هذا عراب الصفقات طارق سواح الذي بات اليوم مديراً لذات المعهد بعد تبادل المناصب، وإن كان كسحوت يملك قدرة تقنية في إخراج كتلة ما، فإن سواح خريج قسم الإعلان في كلية الفنون، غير قادر حتى على رسم خط واحد ذي قيمة.

اليوم، يجول كسحوت مع من تبقى من نحاتين في ملتقيات عدة داخل سوريا، اللاذقية، طرطوس، دمشق، على الخشب أو الحجر، في الفنادق أو القلعة، يرافق كسحوت وزيرة الثقافة في جولتها على المشاركين في فعاليات تقام تحت عناوين براقة، مثل "سوريا أنت الأجمل".

وأذكر.. "أريدها مثيرة.. أريد للزبون أن يثار جنسياً وهو جالس في المطعم" بهذه الكلمات يخاطب صاحب "مطعم زيوس" في باب توما بدمشق فناناً شاباً كلفه بتنفيذ ديكور خاص بمطعمه، كان هذا طلباً واضحاً من صاحب رأس المال وفرصة العمل، لنحات شاب كي يحول فيه عملاً "ظن خطأً أنه فني" لمسخ حقيقي، تمثال امرأة بصدر ضخم وأرداف أضخم، تموت النسب الطبيعية وتذوب الكتل في بعضها بعضاً، وتتلاشى كل قيم الجمال الشحيحة أصلاً في عمل تجاري في النهاية، لكن ليس العمل ما خرج مسخاً وحسب، بل ذلك الشاب الذي فكر بشغف لا ينجو منه كل حديث تخرج، أو طالب فن، المسخ خلق في مكان ما من عقل الشاب، الذي رضخ للرغبة الشاذة للرجل المسن، وأنتج له ما يريد تحت ضغط الحاجة والمنافسة، ومع تكرار التجربة، كفر بالفن الذي لا يطعمه، وهجر المرسم إلى حين يُسر لن يأتي أبداً.

جميل هلال: النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو

■ ياسر مرزوق

في غمرة الربيع والضجيج العربي من غير الممكن إهمال أو نسيان القضية الفلسطينية التي حملت وحمّلت الشعوب العربية أوزاراً كان من السهل تفاديها لو أن ثقافتنا العربية تخلت مبكراً عن الأوهام التي تقف في طريق العقل العربي وتجعله سجين أطرٍ ومواقف محددة، تضعه بعيداً أو حتى نقيضاً للحرية.

نستطيع الحديث عن جملة من الأوهام تحكم العقل العربي، ولعل أبرزها المتعلق بكتابنا اليوم وهم الزعامة، ففي مخيلة العربي دائماً أن تحرير فلسطين وتحقيق النهضة وهزيمة الأعداء، لا تكون إلا بزعيم فرد يأتي من قلب الغيب، ووفق هذه المنظومة يأتي الزعيم الفرد مستبداً يضيّع فلسطين كما يضيّع بلاده.

كتابنا اليوم وفي سعي الفلسطينيين المتأخر للحصول على اعترافٍ دولي بفلسطين الدولة، يقدم بحثاً في الأبعاد الاجتماعية لبناء دولة فلسطينية منذ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية حتى إقامة السلطة الفلسطينية في إثر اتفاق أوسلو. ويتناول الكتاب العلاقة بين السلطة الفلسطينية والمجتمع المدني الفلسطيني، ومحاولات بناء الدولة على الرغم من سعي إسرائيل لسحق هذه المحاولات.

النظام السياسي الفلسطيني، سواء قبل النكبة أو خلال فترة منظمة التحرير الفلسطينية أو بعد أوسلو، صاحبه فكر سياسي يتراوح بين التجريبية المفرطة والنزعة الضدية الشديدة، ويعلّل هذا الأمر بنشأة هذا الفكر وتميزه بمواجهة خطر مزدوج تمثل في الاستعمار البريطاني التقليدي، والاستعمار الصهيوني الاستيطاني، لذلك حمل، بالإضافة إلى سمات منشئه العربي الأول وسمات الوضع الناشئ إزاء الاستعمار التقليدي، سمات خاصة أوجبها الصراع مع المشروع الصهيوني. لقد اتسم الفكر السياسي الفلسطيني بالتجريبية، أي بعدم انفصاله عن مجرى النشاط السياسي العملي، كما اتسم بالنزعة الضدية وبالتالي الانفصام بين الفكر الذي تصوغه الرغبات وبين مقتضيات واقع الحال.

إضافةً لاستعراضه مراحل تشكل الدولة الفلسطينية، يرصد الكتاب التحولات التي دخلت على النظام السياسي الفلسطيني خلال الانتفاضة الثانية وبعد وفاة رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات في خريف العام 2004، بما فيها الانتخابات الرئاسية عام 2005، والانتخابات التشريعية عام 2006، وانتقال حركة «حماس» من صفوف المعارضة للسلطة الفلسطينية إلى حزبها الحاكم وفقدان التنظيم الحاكم والمهيمن على الحقل السياسي منذ تشكل منظمة التحرير الفلسطينية «حركة فتح» موقعه المهيمن في الحقل السياسي الفلسطيني.

وقد كتب الكثير عن اتفاقات أوسلو وتبعاتها السياسية والقانونية وتأثيرها في محيط الصراع الفلسطيني الاسرائيلي بما في ذلك الدول العربية، فاتفاقات أوسلو، وانشاء سلطة فلسطينية أول مرة على أرض فلسطينية، وازدواجية دور القيادة التاريخية لمنظمة التحرير كقيادة أيضاً للسلطة الفلسطينية بعد أوسلو, وبداية تشكلات مجتمعية وسياسية جديدة في المناطق التي انسحبت منها اسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة، شكلت ظاهرةً جديدة وأمراً واقعاً لا يمكن تجاهل تطوره وتأثيره في المستقبل السياسي والمجتمعي في فلسطين والشتات .

فمع قيام السلطة الفلسطينية انتقلت عملية صناعة الهيمنة في الحقل السياسي الجديد من أطر منظمة التحرير الفلسطينية إلى أطر سلطة فلسطينية تسعى للتحول إلى دولة على إقليم فلسطيني. وباشرت فور قيامها منح نفسها رموز الدولة الحديثة وشكلها، في المجالات المتاحة لها وفقاً لاتفاق أوسلو والاتفاقات اللاحقة. لقد انتقلت السلطة من حقل يخيّم عليه خطاب التحرير والمقاومة، ويقيم ائتلاف فصائل مسلحة، ويتسم بالتعددية السياسية والفكرية والإعلامية وبدرجة عالية من التسيس الجماهيري، ويدير تحالفات عربية ودولية على أساس الموقف من حقوق الشعب الفلسطيني، إلى حقل تسيطر عليه سلطة مركزية تحتكر استخدام العنف في المناطق المحددة لها وفقاً للاتفاقات مع إسرائيل.

كما أن سعي السلطة الفلسطينية الدائم للبحث عن مقومات دولةٍ أياً كان شكلها نجم عنه تهميش دور التجمعات الفلسطينية في الخارج ووضعها في حالة قلق شديد على مصيرها وعلى هويتها الوطنية، بعد عقود من رفع منظمة التحرير الفلسطينية شعارات تنادي بحق شعب شرّد واحتلت أرضه وحُرم من حقه في تقرير المصير.

كما تطرح النخبة الفلسطينية على الصعيد الداخلي تصوراً مفاده أن الشعب الفلسطيني أكثر ديموقراطية من الشعوب العربية الأخرى، لا بمعنى أنه ينشد الديموقراطية كما هو حال شعوب أخرى في عالمنا المعاصر، وإنما بمعنى أنه ديموقراطي بسجيته ويمارس «الديموقراطية» من فترة طويلة، هذا التصور الذي جرى نقضه لاحقاً في ضوء ممارسات بعض الأجهزة الأمنية، وبعد صدور تقرير هيئة الرقابة العامة الأول لعام 1996 بشأن إساءة استخدام بعض المسؤولين لمواقعهم، ومطالبة المجلس التشريعي بمحاسبة هؤلاء المسؤولين.

جميل هلال:

جميل هلال باحث وكاتب فلسطيني، له عدد من الكتب والمقالات والأبحاث. من كتبه التي نشرت مؤخراً «استراتيجية إسرائيل الاقتصادية في الشرق الاسط، تكوين النخبة الفلسطينية، الطبقة الوسطى الفلسطينية، التنظيمات والأحزاب السياسية الفلسطينية، وأبحاث عدة عن الفقر والفقراء وقضايا التنمية والهدر في فلسطين».

صدرت له العديد من الأبحاث المشتركة عن نظام التكافل الاجتماعي ونظام الضمان الاجتماعي، ونظام العدالة الجنائي ونظام العدالة العرفي في فلسطين. كما حرر مع إيلان بابه كتاباً عن الرواية التاريخية الفلسطينية الإسرائيلية، وله مساهمات في مجلات ودوريات عربية وأجنبية. وهو محرر مشارك في مجلة الدراسات الفلسطينية.

تقاسيم على لحن الكرامة

■ بهاء حمدان

لنبدأ بأمنية، تلك التي يحلم بها السوريون على انتشارهم القسري في هذا العالم..

أظن بأنها تراودنا كلنا.. نحن الذين نسمي أنفسنا "ولاد البلد"، في كل تفصيل من تفاصيل حياتنا الجديدة القديمة.. تعودُ تلك اللحظات لتباغت شعورنا المزيف بالأمان وترميه بعيداً لتثبت لنا مجدداً أننا "مهجرون".

فذلك واحدٌ من تلك الصباحات المكررة التي يعيشها ابن العشرينات في مغتربه..

قهوته الجديدة.. ذات الرائحة التي مهما تكررت ستبقى تذكره بعبق قهوة أمه القديمة.. وألحان يعرفها تعود لتذكره أيضاً بالصباح السوري الذي اعتاد أن يبدأ أيامه به.

يحاول تفادي نداء الماضي ويصم آذانه عنه كي يستطيع متابعة نهاره كالمعتاد. وكالمعتاد يبدأ بروايته المهترئة محاولاً أن يتجنب رغبته بمعرفة ما حصل ليلة البارحة هناك.

يقرأ ويبحث.. يقرأ ما اعتاد عن أعداد الشهداء ويبحث بين أسمائهم وفي جوانحه يرتعد ذلك الخوف المؤلم الذي لم يستطع اعتياده بعد.

يمر على أسماء المناطق والمدن ومع كل مدينةٍ تعود ذاكرته لتخبره بمن يعرفهم هناك..

تلك الذاكرة المتعبة بما تحمله من لحظاتٍ ومواقف تأخذهُ بعيداً عن واقعه الحالي وترميه في تفاصيل مر بها في تلك الرحلة العقيمة التي لا زال ندمه عليها ينخز خاصرته كل ليلة.

لن يستطيع الوصول إلى حلمه بالنسيان.. كيف له أن ينسى تلك المشاهد المارة في ذاكرته بواقعيةٍ تفوق ما يدور أمامه حقاً.

فوجه ذلك الخمسيني.. صاحب التضاريس التي خطها الزمن في ملامحه، بوقفته وانحناءة ظهره وصوته الخشن.. يحمل فوق كتفيه حفيدته السمراء.. مقاتلاً.. مكافحاً.. من أجل أن يقطع تلك الصحراء ليصل إلى ما يسمى "مخيم" هارباً بحفيدته إلى ما يأمل بأنه "أمان ".

وتلك النسوة اللاتي يعرفهن جيداً.. ويعرف كم تحمل الواحدة منهن من عنفوانٍ وطهارةٍ وكرامة.. يعاندن تلك الريح الصفراء الصحراوية المقيتة من أجل أن يعدن إلى خيامهن بقليلٍ من الماء.

أما تلك الفتاة التي كانت أحلامها الحائرة في يوم من الأيام تأخذها شرقاً وغرباً. بذلك الوجه الذي تحاول ملامحه اخفاء الألم بلا جدوى. تقف مجبرة لتبيع ما تحمل في محاولةٍ لسد رمق أمها العجوز وأخيها المصاب بعد أن طحنت الحرب قدماه.

بين مخيمات صحراوية وأخرى ثلجية.. ومحاولات للعيش في وسط موبوء بالعنصرية. يحاولون فقط.. أن يبقوا على قيد الحياة.

يترك روايته التي لم يعد يذكر منها شيء، ويستسلم لتلك الطعنات التي يتلقاها من ذاكرته كل حين.

يتساءل مجدداً عن السبب الذي دعاه إلى ارتكاب تلك الحماقة وعن الخواطر التي تداعت إلى مَنطِقِه ليرى أنه ما من مهرب أمامه الا البحر. ذلك البحر الذي ابتلع ابناء جلدته أمام عينيه.. ذلك البحر الذي لازال يذكر جيداً كم من الآمال كان يزرع في نظرات الذين كانوا ينتظرون أن يقطعوه.

"مجانين" قالها بصوتٍ سمعه من كان معه.

كيف لا، وهم من اختاروا الموت غرقاً.. كيف لا وهم من ألبسوا اطفالهم ستر النجاة التي لم تنجيهم لاحقاً.

ضمن تلك الثورة التي اجتاحته ضد من قام بما قام به.. عاد لرشده قليلاً وبدأ اعوجاج تفكيره بالاستقامة.. فهل هم المجانين أم من كان يعاملهم كالبضاعة في مركبٍ مهترئ هو كذلك..

هل هم من فقدوا خوفهم من الموت أم من كان يمنع عنهم سبل الحياة في بلادٍ طالما اعتبروها "شقيقة" هو من جعلهم كذلك.

هل موتهم غرقاً في سبيل أن يشعروا بقيمتهم كبشر هو الخطيئة أم ذلك الذل الذي كانوا يتجرعونه يومياً في تلك الخيام.

أدرك بعد أن أجاب على تلك الأسئلة بأنه (إن وجد في هذا الكون شعباً عاقلاً فهم السوريون لاشك).

يفكرُ منطقياً لوهلة : كيف نقول بأن الإنسان السوري ترك أرضه من أجل أن يعيش. لا.. هو لا يريد أن يعيش فقط..

فالسوري هو من اختار الثورة.. والسوري هو من اختار أن يصرخ في وجه الظلم وهو من اختار أن يسافر من مدينةٍ إلى أخرى كي لا يرى نفسهُ عاجزاً أمام من انتهك حقه بالكرامة.

والسوري هو من اختار أن يترك العرب بما حملوا.. ويخاطر بنفسه وبأولاده وبما يملك في سبيل أن يصل إلى تلك المرحلة التي يستطيع أن يقول فيها " أنا عايش".

لأن الحياة في منظوره طالما كانت مقترنةً بالكرامة.. ولأن العيش في بلدٍ ظلمه وسلب حقه فيها لا يستطيع اعتباره عيشاً.. ولأن الموت يعتبر ثمناً منطقياً في سبيل ذلك الهدف الذي يسعى إليه.. كل تلك الأسباب دفعت السوري إلى اختيار " الكرامة ".

عاد إلى واقعه.. هدأ.. اطمئن.. أحس بأنه أقل غضباً.. وبدأت السكينة تدق باب خاطره لوهلة.. وكعادته عندما يكون هادئاً تذكر تلك الفتاة التي يحادثها من وقت لآخر.. عاد ليقول لها "كيفك.. لسا مصرة ما تطلعي ".

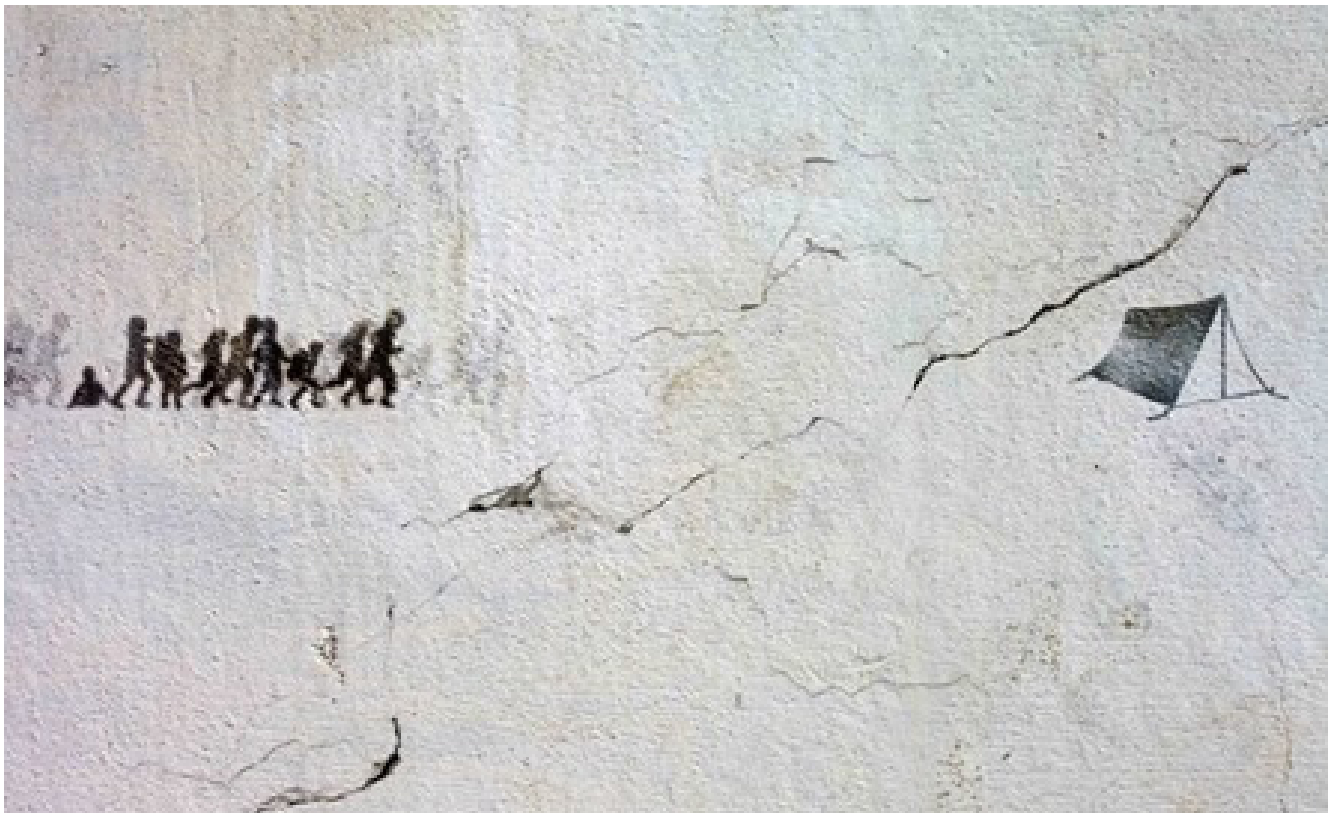

صاحب «رقصة ستي»
عمر النقشبندي 1906 - 1981

■ ياسر مرزوق

«عشرون ليرة ذهبية ثمن فنجان قهوة في دمشق مطلع ثلاثينيات القرن الماضي»

حدثت هذه القصة مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، في عهد الرئيس محمد علي العابد، الذي كان بحسب كتاب «سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي» لستيفن لونغريج، الصفحة 428 «أغنى رجل في سوريا كلها، إذ قدرت ثروته بمليون ليرة إنكليزية ذهبية، موزعة بين أسهم يملكها في قناة السويس، ومجموعة عقارات منتشرة في أوروبا، وأراضي زراعية واسعة بما فيها من قرى في غوطة دمشق لاسيّما في منطقة دوما، وعلى حدائق في حي القنوات، فضلاً عن فندق فيكتوريا، أقدم فنادق دمشق وأشهرها، وأسهم في شركة الإسمنت الوطنية، إضافة لمجموعة من العقارات والقصور في مدينة دمشق.

وفي زفاف ابنته ليلى الثاني بعد طلاقها من الرئيس «صبحي بركات الخالدي» وبناءً على طلب زوجته وقع الاختيار على عازف العود الشهير «عمر النقشبندي» لإحياء الحفل، وبالفعل تم استدعاؤه واتجهت به السيارة نحو القصر الجمهوري.

حيث كان الرئيس العابد في استقباله مرحباً، وطلب منه قبل الصعود لجناح السيدات أن يغني له «ياليل الصب متى غده» وبالفعل شدا النقشبندي بالأغنية أمام الرئيس، ثم صعد إلى الطابق العلوي حيث حفل الزفاف. واستقبلته زوجة رئيس الجمهورية، ورحبت به أمام المدعوات، وجلس محتضناً عوده يعزف ويغني، حتى ساعات الفجر الأولى، وقد أثار دهشة الحضور عندما استخدم خلال عزفه وضعاً معكوساً ليده اليمنى، فزحفت أنامله على الأوتار من الجهة العليا للعود عوضاً عن الجهة السفلى المعروفة، كما قام بالأمرين معاً في المقطوعة الواحدة للتدليل على براعته في العزف.

وعند انتهاء الزفاف، ولدى مغادرته القصر، تقدمت منه زوجة رئيس الجمهورية، وقالت له وهي تمد يدها: «تفضل هذه المحرمة واحسبها ثمن فنجان قهوة مع الشكر الجزيل»، فأخذ عمر النقشبندي المحرمة شاكراً إياها. وعاد إلى منزله ليفتح المحرمة، ويجد فيها عشرين ليرة ذهبية.

عمر النقشبندي وجه من وطني قد لا يعرفه البعض، إلا أنه ما من دمشقي أو زائر أو قارئ عن دمشق إلا وسمع مقطوعة «رقصة ستي» التي ارتبطت بدمشق ارتباطاً عضوياً، والتي صاغها النقشبندي على خلفية الأغاني التراثية القديمة.

ولد عمر النقشبندي عام 1906 في اسطنبول لأب سوري وأم تركية. كان والده محمد صادق ضابطاً برتبة أميرال في الجيش التركي، أما والدته فكانت سيدة تركية مولعة بالموسيقى والغناء التركيين مما أثر على ابنها لاحقاً بحيث أصبح يجيد العزف بالأسلوبين المتعارف عليهما في ضبط أوتار العود، وأعني بهما الأسلوب التركي، والأسلوب العربي، وقد سخر الأسلوبين لخدمة عزفه حتى تفوق على غيره، واحتل مكانته بين عازفي العود العرب عن جدارة، كما كان محمد الأمين أخوه الأكبر يعزف على العود.

تلقى النقشبندي علومه الأولية في مدرسة «غلاطة سراي» في اسطنبول، وفي عام 1914 انتقلت عائلته إلى بيروت بعد أن عُيِّن والده حاكماً ومفتشاً لمنطقة الميناء. وهناك تابع دراسته في الكلية الأمريكية، التي حصل فيها على أول عود اقتناه في حياته، أهداه إياه مدير الكلية الذي لفتته موهبة النقشبندي المبكرة.

في عام 1919 عادت أسرة النقشبندي إلى دمشق موطنها الأصلي، وكان عمر قد أصبح فتى يافعاً يجيد العزف على العود، وكان يتمتع بصوت جميل، فبدأ يغني في الحفلات على مسارح دمشق، يؤدي أغنيات محمد عبد الوهاب. وفي أواخر العشرينات أسس مع مجموعة من المهتمين بالموسيقى نادي «دار الألحان»، وبدأ اسمه يلمع مطرباً وعازفاً على العود.

عام 1932 ولدى زيارة محمد عبد الوهاب الأولى لدمشق استمع إلى الإضافات اللحنية والغنائية التي أدخلها النقشبندي على قصيدة « يا جارة الوادي « فاعتمدها وسجلها على اسطوانات بيضافون وفق التعديلات التي غناها بها النقشبندي.

في صيف عام 1933 سافر إلى بيروت متعاقداً مع مدام بلانش أكبر متعهدي الحفلات في ذلك الزمن، وهناك تعرّف على المطربة ألكسندرا بدران التي عُرفت فيما بعد بنور الهدى، فأشرف على تدريبها وتعليمها الغناء، وعندما عاد إلى دمشق أحضرها معه لتبدأ انطلاقتها على مسارح دمشق وحلب.

في عام 1940 دُعي النقشبندي إلى حماه لإحياء حفل عقد قران بعد أن ذاع صيته في أنحاء سورية، وهناك التف حوله بعض محبي الموسيقى والغناء، وطلبوا منه البقاء في المدينة، فأسس مكتباً صغيراً لتعليم العزف على العود. وكان من طلابه نجيب السراج وياسين محمود.

في نهاية الأربعينات عاد عمر النقشبندي إلى دمشق بطلب من مدير الإذاعة سليم الزركلي. وعُيِّن عازفاً على العود ضمن الفرقة الموسيقية للإذاعة، واستمر في الإذاعة حتى رحيله.

عام 1957 أثار إعجاب المستمعين الروس واستمر التصفيق لدقائق بعد أن عزف على مسرح مهرجان الشباب العالمي في موسكو، وخلال الوحدة بين سورية ومصر سافر إلى القاهرة مرات عدة. وفي عام 1968 سافر إلى الصين ضمن وفد سوري، وشارك في العديد من الحفلات بعزفه المنفرد الجميل وضمن الفرقة الموسيقية.

شملت ابداعات النقشبندي العزف على العود والغناء والتلحين والتأليف الموسيقي، فكان عازفاً بارعاً على العود، امتاز بأسلوبه الخاص في العزف، إلا أن واسطة العقد في ابداعاته كانت معزوفة « رقصة ستي « التي تنتمي إلى التراث السوري المديني، لكن عمر طورها وأضاف عليها وأداها بأسلوب جميل حتى ارتبطت باسمه ارتباطاً وثيقاً.

وبحسب الباحث الموسيقي صميم الشريف: « فإن الأغنية الشعبية الدارجة - التي كانت تستقي مادتها من الحياة اليومية البسيطة، وديمومتها عند الفنانين الشعبيين المجهولين، الذين حافظوا عليها ونشروها في كل ديار الشام، حتى أضحت بعد أن جمعت وهذبت من تراث الشعب الفولكلوري - لعبت دوراً كبيراً في نشأة وتطور الموسيقا في سوريا «.

وفي مجال التلحين لحن عدداً قليلاً من الأغنيات التي كتب كلماتها وأداها بصوته، منها «من أول نظرة حبيتك»، «ويلي منك ياويلي»، أما في مجال التأليف الموسيقي فتحتفظ مكتبة الإذاعة في دمشق بعشرات الأشرطة الخاصة بأعماله وعزفه، وأغلبها مسجل على العود وهي: نشوة الصباح، ليالي استانبول، رقصة الحور، أحلام عاشق، قلب عذراء، إلى جانب عدد كبير من ارتجالاته الموسيقية على العود ـ تقاسيم ـ من كل المقامات المعروفة في الموسيقا الشرقية تقريبا.

رحل النقشبندي في دمشق عام 1981 ودفن فيها.

قالت فتاة صغيرة هناك: سنبقى نحن الصغار ننثر بطيبة قلوبنا البهجة والسرور أينما وجدنا ورغماً عن أنوف الكبار.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

شباب حمص: القهر بعد المعركة

■ حمص - نوال معصوم

حمص - حي الوعر | عدسة شاب حمصي

"حمص تبكي، أجل إني أشعر أن حمص تبكي". هكذا قالت لي سيدةٌ كانت جالسةً بجانبي في الحافلة، كانت ذاهبةً إلى الكراج لتسافر إلى دمشق، منذ أن صعدتُ إلى الحافلة لفتَ انتباهي سريعاً حملُها لـ"طنجرة الضغط" الكبيرة الموجودة في كل بيت حمصي، أول ما خطرَ في ذهني أنها امرأةٌ نازحةٌ من حيٍّ ما، كانت سيدةً متوسطة الحال، بسمتُها المميزة تعلو وجهها وتضيف إليه نوراً.

قالت لي: "لقد كنتُ أقطن في حي باب هود، أما الآن فأقيم في دمشق مع شقيقتي، يسألنا الجميعُ هناك عن الحال في مدينة حمص والكلُ يعرفُ أنها شبعتْ من الدمار، فيتساءلون كيف لنا أن نبتسمَ مجدداً؟؟ كيف للضحكةِ أن تخرج من شفاهنا مجدداً؟؟ أقولُ لهم يكفي ما ذقناه من العذاب والألم والدموع، أهل حمص مشهورونَ بفكاهتهم فكيف لا نضحك إلى اليوم؟ أنا فقدتُ منزلي وحين فُتِحت الطرق من جديد ذهبتُ لأراه فلم أجد منه شيئاً نافعاً، حاولتُ جمع الأشياء التي لا زالتْ تعينني على الحياة وكل فترةٍ أذهب بها إلى منزلي الجديد في دمشق، لم يكن هذا ما أردتُه لكنْ هذه هي الحال فما عسانا نفعل؟ أنجلس نندبُ على مدينتنا وبيوتنا؟ يكفينا أن حمص تبكي، واللّه إني أشعر بها تبكي على أبنائها في كلِ مرةٍ أغادرها كراهيةً لا طوعاً.

حمص اليوم مدينةٌ مختزلةٌ إلى منتصفها، نصفُ حاراتها معدوم، نصف سكانها مشتتون بين شهيدٍ ومعتقلٍ ونازحٍ ومهجّر، نصف شوارعها فقط مفتوحٌ ومسموحٌ المرورُ فيه، يصفُها أغلبُ سكانها بأنها مدينةُ أشباح، لكن ما يميزها عن سابق زمانها هو الهدوء و"الأمان" نسبياً والذي ينتشر على الأقل في حاراتها التي كانت تعاني من الموت منذ فترةٍ قصيرة، هذا ما يراه البعض شيئاً مفيداً!! ففي ذات الحافلة التي كنتُ أركبها سمعتُ حواراً بين امرأتين حمصيتين تتحدثان عن الوضع الراهن، خصوصاً حين مررنا بالطريق المجاور لإشارة باب السباع، حيث جزءٌ كبيرٌ من بداية بيوت حمص القديمة مدمّرٌ ومتراكمٌ فوق بعضه، كانت تقول إحداهما للأخرى: "انظري إلى كل هذا أترينه جيداً؟ هذه مطالبهم؟ هذا ما كانوا يريدونه؟ أن تُباد المدينةُ بأكملها وتنتهي الأرزاقُ والمحلاتُ والبيوت؟ أتذكرين كيف كانت حياتنا قبل الأزمة؟ قبل أن يقوم بعض (الطائشين) بحركتهم الغبية لنصل إلى كل هذا الدمار؟ لكنْ لا بأس.. أقلُّه أننا اليوم عدنا إلى الأمان الذي اعتدنا عليه، صرْتُ قادرةً على المشي في السوق دون أن أحسب الثواني والدقائق قبل هطول القذائف فوق رأسي، يمكن للدمار أن يزول ونبني حجارةً جديدةً عوضاً عنه المهم أن نمشي بأمانٍ في الشوارع".

لكن حمص لم تُترك وحيدةً يوماً، أبناؤها الذين ضحّوا بمستقبلهم لأجل الدفاع عنها يرون حالتها اليوم من منظورٍ آخر، حسام شابٌ في العشرينيات من عمره مغترّبٌ وطالبٌ في تركيا، يقول حسام: "لم أفكرْ لحظةً في ترك حمص للوحوش كي تنهشها، لكنها أربع سنوات تقريباً! أربع سنواتٍ عملتُ فيها في مشافي ميدانية ومجموعاتٍ تطوعية وإعلامية سرية، شهدتُ خلالها استشهاد الكثير من رفاقي واعتقال آخرين منهم، ونفدتُ بأعجوبةٍ من أن يلحقَ بي أحد هذين المصيرين، وبالرغم من سفري هرباً منهما واستقراري في جامعةٍ جديدة إلا أنني لا أستطيع اليوم حتى أن أفكرَ بأن كل جهودنا وتعبنا وموتنا وموتِ شبابنا وجهادهم قد انتهى إلى هذه الحال! تنظرُ اليوم إلى حارات حمص فتجد الناس تتأقلمُ مع الهزيمة التي حلّت بنا، الفتياتُ يُصاحبْن العساكر ويمشين معهم أمام كل الناس لا يهمهن رأي أحد! ربما تكون أختَ شهيدٍ واحدة منهن لكنها تصاحبُ مجنداً كي يشحن رصيد جوالها بالمجّان، ربما!! حمص فقدتْ نخبة شبابها وهُجّرَ البقيةُ بعيداً عنها واليوم تعودُ إلى نقطة الصفر ذاتها؟! ليست هذه رغبةَ الشعبِ في التحرر، وليس هذا ما كنا نريده ونسعى لأجله ونبذل في سبيله آلاف الأرواح".

في ذات السياق، تتألمُ غنوة وهي طالبةٌ جامعيةٌ في جامعة البعث من الوضع الاجتماعي الذي باتت فيه حمص، تتحدثُ عن ألمها لفقدان نصف المجتمع الحمصي وتضيف: "لا يمكن أن يُعجبَ هذا الوضعُ أحداً سوى تجار الأزمةِ وذوي المناصب المُضمرةِ سابقاً، فمثلاً اليوم كل من يمتُ بصلةٍ للجيش السوري أو الأجهزة الأمنية أو حتى المنظمات الحزبية في الجامعات تجده يمشي في الجامعة أو حتى في الشوارع متبختراً منتشياً بما يسميه انتصاراً على أهل حمص الأصليين! بعد كلّ الشجاعة التي أبديناها في وجه الظلم أشعر اليوم أني أمشي مكسورةَ الرأس مذلولة النفس، ويعززُ شعوري هذا فعلُ أمثال هؤلاء المتبخترين ممن ذكرت، منذ بضع سنين لم تكن لتسمع أصواتهم، أو حتى ترى وجوههم يمارسون عليكَ كل أنواع السّلطة كأنهم حاكمو البلد، لم تكنْ لتشعرَ بأية فروقٍ بينكَ وبينهم".

بعض الناس يقولون أن هذا الحراكَ ما كان يجبُ أن يكون، غيّر مسار الحياة بأكملها وأنهى حالةً من الهدوء كانت تعيشها سوريا باستمرار، والبعض الآخرُ يلومُ من مشى على دربِ الموت، لو كان ذا علم بما سيحصل بعد المطالبة بحقوقه في حياةٍ كريمة، لكان أدارَ عجلة القيادةِ نحو يابسةٍ أخرى قبل الغرقِ في بحر الحرب..